الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور الطاهر مولاي-سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعلاقاتها الخارجية

405-547هـ/1014-1152م

من إعداد الطالب:
- **توهامي مكاتي.**

الأستاذ المشرف:
- **أ.د. عبد الكريم شباب.**

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ:		**رئيسا ومناقشا**
الأستاذ:	**عبد الكريم شباب**	**مشرفا ومقررا**
الأستاذ:		**مناقشا**

السنة الجامعية
1435-1436هـ/2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء
هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب
أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من
صعوبات، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف "شباب عبد
الكريم" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي
كانت عونا لي في إتمام هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام في كلية
العلوم الإنسانية قسم التاريخ كل باسمه الخاص.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أمي وابني الطاهرتان فارس وعامر مسعودة التي وهبتني الحياة والأمل والنشأة على شغف الإطلاع والمعرفة.

وإلى كل أخواتي وإخوتي وأسرتي وأخص بالذكر زوجتي الغالية التي صبرت معي صبرا جميلا وإلى أبنائي: يوسف الصديق وجاد بوعمامة العزيزين عليا.

وإلى زملائي في العمل وأخص بالذكر رزقاني ميلود، مهدي بوعمامة، سلطاني جيلالي، بغدادي برزوق.

والشكر الموصول أيضا إلى كل من زاوي بوبكر، زوي نصر الدين، ولد العربي بلال، طيبي عبد العالي.

وإلى كل من سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل.

قائمة المختصرات:

ت	توفي
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
تح	تحقيق
مرا	مراجعة
تر	ترجمة
د.و.م.ج	الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية
ش.و.م.ج	الشركة الوطنية للمطبوعات الجامعية

قائمة مختصرات بالاجنبية

الصفحة	P
المرجع السابق	Op.cit

مقدمـــة

مقدمة

لقد تأسست دول كثيرة في المغرب الإسلامي ساهمت في بناء إنجازاته السياسية والحضارية، وتعد الدولة الحمادية من بين هذه الدول التي تمثل ركيزة أساسية في تاريخ المغرب الإسلامي بوجه عام، وتاريخ المغرب الأوسط بوجه خاص.

كان لها دور فعال في مختلف المجالات حيث تقلبت من فترة الصراع من أجل إرساء دعائم مشروعية قيامها، وانفصالها كدولة مستقلة إلى فترة الاستقرار النسبي والإبداع الحضاري.

ظهرت الدولة الحمادية على المسرح السياسي للمغرب الإسلامي في الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والسادس هجري الموافق للقرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي، وبالتحديد ما بين (405-547هـ/ 1014-1152م)، وهذه الفترة موضوع بحثنا الموسوم " **الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط وعلاقاتها الخارجية** " وذلك من أجل دراسة تاريخ هذه الدولة، وإبراز علاقاتها السياسية الخارجية التي ميزتها مع مختلف الدول سواء جيرانها بالمغرب الإسلامي، أو المشرق الإسلامي، ودول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

كان اختيارنا لهذا الموضوع هو دراسة عن تاريخ الجزائر في العصر الوسيط بدراسة إحدى الدول المستقلة التي تأسست على أراضي المغرب الأوسط، والتركيز على العلاقات الخارجية للدولة الحمادية.

قلة الأبحاث حول العلاقات الخارجية للدولة الحمادية مع مختلف الدول، هذا ما دفعني للاهتمام بهذا الموضوع في إطار الدراسة التاريخية.

ومنه فإن إشكالية البحث تتمحور حول:

كيف استقل الحماديون بدولتهم، وما هي الإستراتيجية السياسية المنتهجة في تسيير شؤونها، وهل انطبقت مع علاقاتها الخارجية؟

وعليه فقد تفرعت منها مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما مدى نجاح العلاقات السياسية الخارجية للدولة الحمادية مع مختلف الدول؟
- ما هي انعكاسات هذه العلاقات في الميدان التجاري والحقل العلمي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا الدراسة إلى مقدمة اشتملت على تحديد موضوع الدراسة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة.

في المدخل تطرقنا إلى من آلت اليه الولاية على المغرب الإسلامي بعد رحيل الفاطميين وبناء مدينة أشير ثم عرفنا بنسب الحماديين.

الفصل الأول فخصصناه لدراسة نشأة الدولة الحمادية وتطورها السياسي ونظم حكمها، فتحدثنا أولا عن جهود حماد في تأسيس الدولة والمشاكل التي اعترضته في سبيل استقلالها، ثم تحدثنا عن الحدود الجغرافية للدولة وأقصى نقطة بلغتها الدولة في حدودها الجغرافية وأعطينا صورة عن نظام حكمها وحكام الدولة الحمادية وهم تسعة اختلفوا قوة وضعفا وأسلوب حكم.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى العلاقات السياسية الخارجية للدولة الحمادية والذي يشمل على العلاقات مع دول الجوار وكذا المشرق الإسلامي، ثم خصصنا دراسة للعلاقات السياسية

الخارجية على الأندلس وبالتحديد ملوك الطوائف ثم مع المماليك المسيحية وتشمل على العلاقة الحمادية بالنورمان وأخيرا مع الجمهوريات البحرية الإيطالية.

أما الفصل الثالث فخصص للعلاقات الخارجية الحمادية في المجال التجاري والحقل العلمي، فتحدثنا أولا عن الجانب التجاري حيث ساهمت عدة عوامل في تفعيل الحركة التجارية وازدهارها مما سمح لها بوجود تيارات تجارية ربطت الدولة الحمادية مع مختلف الدول عن طريق طرق تجارية برية وبحرية، فكان التصدير والاستيراد، وهذا ما جاء تحت عنوان المبادلات التجارية، والشق الثاني تطرقنا فيه لدور وأهمية العلاقات الخارجية في التنافس العلمي وهذا بإبراز عوامل رقي الحركة العلمية وأهم رجالات الفكر في الدولة الحمادية، ثم تطرقنا إلى أهمية الروابط الدينية المسيحية وأثرها في العلاقات الخارجية.

وفي الأخير خلصنا إلى خاتمة وهي عبارة عن استنتاجات كحصيلة لكل ما درسنا خلال الفصول الثلاثة، وقد أرفقنا بحثنا بمجموعة من الملاحق لها صلة بالموضوع.

إتباعنا المنهج التاريخي التحليلي حسب المادة العلمية المتوفرة والهدف هو تسليط الضوء على جانب هام لهذه الدولة وهو التركيز على العلاقات الخارجية للدولة الحمادية.

وقد اعتمدنا في صياغة هذه الباكورة من العمل على مادة علمية من مصادر في التاريخ والتراجم وكتب للجغرافيين الرحالة، ومن أهمها:

- كتاب ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن ابن خلدون (732-808هـ/ 1331-1405م)، فأي دراسة في

المغرب الإسلامي الوسيط لا تستطيع أن تتخلى عن مصدر عبد الرحمن ابن خلدون لأن كل أجزاءه السبعة تتناول فيها تاريخ العام الإسلامي والمغربي والأندلسي... فلقد استفدنا من الجزء السادس الذي يحتوي على معلومات تاريخية بالنسبة للصنهاجيين، وتاريخ الدولة الحمادية ويعتبر مصدر هام باعتبار أن صاحبه عاش في المغرب الأوسط فترة من الزمن.

- كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت 630هـ/1232م) يعتبر مصدره من أهم المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7 هجريين، كما يتألف المصدر من ثلاثة أقسام: القسم الأول خاص بالفتوحات وأخبار الدولة الصنهاجية الزيرية والحمادية، فاعتمدنا عليه في معرفة تاريخ الدولة الحمادية.
- كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) الذي أمدنا مصدره بمعلومات هامة ودقيقة.
- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ق 7-8هـ/ 13-14م) ويعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي بسبب ما أورده من أخبار تاريخية أكثر دقة حيث أنه نقل مادته من مؤرخين كالرقيق القيرواني والبكري والقضاعي وغريهم.
- كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م) هذا المصدر يحوي على تراجم لعلماء بجاية في مختلف التخصصات وعليه كانت استفادتنا منه كبيرة في ترجمة لبعض الأعلام.

كما وظفنا كتب للرحالة الجغرافيين نذكر منها:

- كتاب " صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس " الذي هو جزء من كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للإدريسي (ت 560هـ/1066م) جاء فيه وصف لسواحل وموانئ المغرب الإسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا، فمعلومات الإدريسي ألم بها من مشاهداته عبر رحلاته وأسفاره.

- كتاب الاستبصار في عجائب الامصار لكاتب مجهول من مراكش عاش القرن 6هـ/12م قام بتحقيق هذا المصدر سعد زغلول عبد الحميد، عايش الحماديين حيث كانت وفاته حوالي (588هـ/1192م)، فيعتبر أهم مادة تاريخية جغرافية وتكمن أهمية كتابه في ذكر المنتوجات الزراعية التي تتميز بها سائر جهات المغرب الأوسط إضافة إلى وصف الموانئ طبيعيا وذكر إمكانياتها.

- معجم البلدان: ليقوت الحموي (ت 626هـ/1229م) هذا المصدر عبارة عن أجزاء بها تعاريف لمختلف المدن مرتبة حسب الأبجدية، فاستفدنا منه في التعريف ببعض المناطق التي وردت في الدراسة.

- كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والمماليك لأبي عبد الله البكري (ت 487هـ/1094م) يعطي للباحثين مادة بحثية موثوقة ودقيقة عن القرن 5هـ/11م من وصف لموانئ المغرب الأوسط وعن الوضعية الاقتصادية وهو من الرحالة الذين اهتموا بوصف المراكز الحضارية الحمادية المختلفة.

إلى جانب هذه المادة التاريخية، وظفنا في الدراسة مجموعة متنوعة من المراجع التي لا تقل أهمية من قيمة المصادر القديمة لارتكازها على التحليل والمقارنة، منها:

- كتاب " الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها " لرشيد بوروبين الذي أراد من خلاله إبراز كل الجوانب السياسية والحضارية للدولة الحمادية في المغرب الأوسط.
- كتاب " دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر " لعبد الحليم عويس الذي ذكر الصراع الزيري الحمادي، وبين فيه الجهود المبذولة في تأسيس الدولة الحمادية وذكر حكام هذه الدولة وإبراز علاقاتهم السياسية والاجتماعية وكذا ذكر العلاقات السياسية الحمادية مع مختلف الدول منهم المسيحيين.
- كتاب دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية لإسماعيل العربي والذي ذكر فيه أهم حواضر الدولة الحمادية وهما القلعة وبجاية، بالإضافة إلى كتاب آخر هو دولة بني زيري ملوك غرناطة، وكلها مراجع اهتمت بالدولة الحمادية.
- كتاب الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج لمحمد الطمار والذي تحدث في فصله العاشر عن الجزائر الحمادية والنهضة الثقافية في حاضرة القلعة وبجاية وعلاقة الدولة مع رجال الكنيسة والتي ساهمت في ربط العلاقات الخارجية بين الحماديين والمسيحيين.
- كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني ويتحدث فيه عن تاريخ الجزائر، حيث استفدنا من القسم الأول في فصله الحادي عشر من تاريخ تأسيس الدولة الحمادية وتأثيرات غزو القبائل الأعرابية وأيضا علاقات الدولة الحمادية مع جيرانها.
- كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي وتحدث في جزءه الأول عن نشأة الدولة الحمادية وواقعة سبيبة والزحف الهلالي وكذا إعتداءات النورمان على الجزائر، وقد استفدنا منه في موضوع بحثنا هذا.

بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المراجع والتي أفدتنا في الدراسة وكذا بعض المراجع باللغة الأجنبية وبعض الرسائل الجامعية منها أطروحة ماجستير بعنوان الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م) من إعداد موسى هيصام.

وكذلك بعض الدوريات كمجلة الأصالة ومجلة الواحات.

لقد حاولنا في دراستنا هذه تقديم أبرز التفاصيل حول الدولة الحمادية وعلاقاتها الخارجية ولم يكن تناول الموضوع بالأمر الهين، فلقد واجهتنا صعوبات منها قلة المصادر المتخصصة في دراسة العلاقات الخارجية للدولة الحمادية وكذا عدم اهتمام المؤرخين بدراسة العلاقات الخارجية الحمادية خاصة مع دول جنوب حوض البحر المتوسط، وكذا الالتزامات الاجتماعية من ظروف العمل وضيق للوقت والارتباطات العائلية.

ورغم هذا فقد حاولنا إعطاء صورة حول الدولة الحمادية وعلاقتها الخارجية في الفترة الممتدة ما بين(405-547هـ/1014-1152م).

وعليه نتمنى أن تكون هذه الدراسة انطلاقة لأبحاث أخرى.

مدخـــــل

لقد كان المغرب الإسلامي تحت نفوذ العبيديين الذين حاولوا إخضاع السكان لسيطرتهم إلى غاية القرن 4هـ/11مالذي شكل مرحلة انتقالية من بلاد المغرب إذ تمكنت قبيلة صنهاجة التي استقرت ببلاد المغرب من تأسيس دولة مستقلة لها.[1]

استقرت هذه القبيلة في المنطقة المنحصرة بين جبال الأوراس ومدينة تنس[2]، ولم تكن في مضاربها مدن كثيرة، وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين صنهاجة الشمال، وصنهاجة الجنوب، هذه الأخيرة ستكون بارزة على ساحة الأحداث والتي يرجع إليها الفضل في تأسيس الدولة الزيرية، والدولة الحمادية و تشكل ثلث سكان المغرب وهي منتشرة بين سهولها وجبالها.

وأول من ظهر من صنهاجة[3] في المغرب الأوسط هو زيري بن مناد، حيث يُعد من أشجع أبناء مناد، وفي سنة(324هـ/935م) شرع في بناء مدينة أشير وقد جلب الزيري بن مناد الصناع والنجاريين المهرة محليا[4]، وطلب من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أن يمده بالخبراء فبعث إليه بمهندس إذ يقول النويري:" واشترط أن يكون هذا المهندس يمتلك خبرة تفوق خبرة مهندس إفريقية "

[1]- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب انتقالها إلى مصر (إلى نهاية ق 4 مع عناية خاصة بالجيش)، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص85.

[2]– تنس مدينة بالقرب من مليانة وهي قديمة بينها وبين بحر ميلان وتنس، وهي تنس الحديثة أسست سنة 262هـ/876م. محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الإقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، 1975، ص138.

[3]–صنهاجة نسبة إلى صنهاج وهو أحد أبناء برنس بن كنعان بن حام بن نوح، تنقسم إلى عدة بطون منها بطن الحمادين، عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 1، دار الشروق الجزائر، 1980، ص10.

[4]–موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول (ق 02 05هـ/8–11م)، ترو تح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص107.

وبذلك شرع في عملية البناء، وعند الانتهاء من تشييدها توجه إلى طبنة والمسيلة وسوق حمزة ليجلب إليها الطبقات الفاعلة من السكان إلى المدينة الجديدة.[1]

وقد اكتفى الزيريون بتحصين بعض النقاط الضعيفة طبيعيا ببناء الأسوار، وسد الثغور، وبتشييد الزيري بن مناد مدينة أشير أصبح أميرا يحسب له ألف حساب، حيث جاء بناء هذه المدينة كنتاج للتنظيم الذي بلغه الزيري بن مناد في توحيد صنهاجة وبذلك سيكون سكان صنهاجة المحيطين بها قد انتقلوا من حياة ومرحلة البدو والترحال إلى مرحلة الاستقرار والعمل، وأصبحت سوقا رائجة وأخذ العلماء والتجار يتهافتون إليها.[2]

وهذه المدينة تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي ستصبح فيما بعد تابعة للدولة الحمادية وستشهد ازدهارا سريعا مع الحماديين.

وقد كانت العلاقات الفاطمية الصنهاجية وطيدة منذ عهد زيري بن مناد الذي كان أكثر ولاءا لهم، وقد استمرت هذه العلاقة الحسنة حتى عهد بلكين بن زيري الذي تولى زعامة صنهاجة خلفا لأبيه زيري[3]، ولما أراد المعز لدين الله الفاطمي الرحيل من إفريقية إلى مصر[4]، رأى من الضروري تنصيب أمير بربري يمثله في بلاد المغرب، وهذا ما جعله يستنجد بأمير صنهاجة بلكين الذي أبدى فطنة من عرض المعز لدين الله، وكان جوابه كالتالي:" يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد

[1]– شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترجيني، مج 24، دار الكتاب العلمية (د.ت)، لبنان، ص88.

[2] - إسماعيل العربي، دولة بن الزيري ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص411.

[3]– لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسط، القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، نشر والتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص82.

[4]– بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تر ومرا: ج س كولان ولكي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان 1983م، ص296.

الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفولي و أنا صنهاجي بربري، قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح ".[1]

وهذا الجواب أعجب الخليفة الفاطمي واستقر رأيه على تولية بلكين خليفة له، ولما ارتحل إلى قابس لوجهته في ربيع الأول سنة(363هـ/973م) أوصاه عند ودائعه قائلا :" إن نسيت شيئا مما أوصيتك فلا تنسى ثلاثة أشياء لا ترفع الجباية عن أهل البادية ولا ترفع السيف عن البربر ولا تولي أحد من إخوتك وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك واستوص بالحضر خيرا".[2]

وبذلك استخلفه على جميع إفريقيا والمغرب ما عدا صقلية وطرابلس، فسماه يوسف وكناه أبو الفتوح ولقبه سيف الدولة، وكلفه بحملة ضد زناته في تاهرت وتلمسان، وعاد إلى القيروان بأمر المعز الفاطمي ينهاه عن التوغل في المغرب وأضاف له مدينة المسيلة.[3]

وفي سنة (365هـ/975م) مات المعز الفاطمي[4] وتولى الحكم ابنه العزيز فتوجهت قافلة من إفريقية بتقديم الولاء والهدايا من بلكين للخليفة الجديد وبالمقابل أرسل الخليفة الجديد العزيز للأمير الزيري قطعا ذهبية مسكوكة باسمه وأمره بتداولها وأضاف له طرابلس.[5]

وفي سنة(367هـ/977م) غزا بلكين سجلماسة وفاس واستولى عليهما، وبذلك أصبحت بلاد المغرب وإفريقية تحت لوائه باعتراف الفاطميين له كأمير على المغرب.

---

[1]– جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر ومر: محمود عبد الصمد هيكل، ومصطفى أبو ضيف، منشأة المعارف، الإسكندرية، (دت)، ص180.

[2]– لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص82.

[3]–عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص206.

[4]–جورج مارسيه، المرجع السابق، ص182.

[5]– المرجع نفسه، ص183.

يرى الكثير من المؤرخين أن الدولة الحمادية تعود أصولها إلى قبيلة صنهاجة التي تعتبر أكبر القبائل القاطنة بالمغرب الأوسط[1]، وتنسب إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري، الذي أراد تكوين إمارة مستقلة له بعد حروب كثيرة خاضها مع بني زيري وزناتة[2] بالمغرب الأقصى. واستطاع أن يشغل جزءا كبيرا من أرض المغرب الأوسط ويكون فيها دولة مستقلة يحكمها هو وأولاده من بعده عرفت بالدولة الحمادية، دام عمرها ما يقارب قرن ونصف منذ أن اختط حماد القلعة إلى غاية سقوطها بيد الزعيم الموحدي عبد المؤمن بن علي سنة(547هـ/1152م).[3]

فيما بعد تفرعت صنهاجة إلى دولتين الزيرية حكمت افريقية وعاصمتها المهدية[4]، والدولة الحمادية التي تولت الأمر في المغرب الأوسط واتخذت أشير عاصمة لها ثم القلعة ومن بعد انتقلت إلى بجاية عقب تأسيسها عام (450هـ/1068م) في عهد الناصر بن علناس.

[1]– المغرب الأوسط: وحده إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقبلة مليانة فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف.شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مج 1، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1977، ص63.

[2]– زناتة: تنسب إلى قبيلة ضرسة البترية البربرية لكثرة انتشارها في المغرب الأوسط للمزيد بنظر عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص60.

[3]– صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص49.

[4]– المهدية مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب سماها بهذا الاسم وهي على نهر من البحر، ابن حوقل، صورة الأرض، دار الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1996، ص73.

الفصل الأول

نشأة الدولة الحمادية وتطورها السياسي ونظم حكمها

الفصل الأول: نشأة الدولة وتطورها السياسي ونظم حكمها.

المبحث الأول: نشأة الدولة وتطورها.

أولا: جهود حماد في تأسيس الدولة الحمادية.

ظهر حماد على الساحة السياسية بعد وفاة والده بلكين وتولي أخوه المنصور أمور البلاد في سنة (373هـ/984م)[1]، فعقد المنصور لأخيه حماد على أشير وكان يتداولها مع أخيه يطوفت.[2]

لما توفي المنصور خلفه ابنه أبو مناد باديس في اليوم الثالث من ربيع الأول سنة(386هـ/984م) على العرش[3]، وكان باديس صغير السن عند موت أبيه[4]، وبما أن المغرب الأوسط بعيدا نسبيا عن العاصمة الزيرية أفرد باديس مدينة أشير وضواحيها إلى عمه حماد وأقطعه إياه، ومنحه لقب نائب الأمير وأمده بالخيل و السلاح وكسى جليلة.[5]

خلال هذه الفترة برز دور حماد بإخماد الثورات كزحف زيري بن عطية في جموع هائلة من زناتة على تاهرت سنة(389هـ/998م) التي كانت تحت إمارة يطوفت عم باديس، فنزل عليها زيري بن عطية و حاصرها فكتب يطوفت إلى ابن أخيه باديس يستمده[6]، واستجاب له باديس وبعث إليه جيشا قويا بقيادة محمد بن أبي العرب فوصل هذا الأخير إلى مدينة أشير واتصل بحماد وبعد أيام قليلة خرج حماد وأبي العرب إلى مدينة تاهرت في جمادى الأولى سنة

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 54.

[2]– يطوفت بن بلكين بن الزيري الصنهاجي ولاه العزيز بالله الفاطمي على أشير سنة 373هـ/983م خرج يطوفت لمحاربة زناتة فهزم، وفي سنة 389هـ/998م هاجمه زيري بن عطية ففر إلى أشير، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980، ص 354.

[3]– رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د.و.م.ج، الجزائر، 1977، ص 18.

[4]– لسان الخطيب، المصدر السابق، ص 59.

[5]– محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 119.

[6]– عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)، ج2، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 646.

(389هـ/998م)[1]، لملاقاة جيش زيري بن عطية الذي عسكر في جنوب تاهرت[2]، فوقعت معركة كبيرة انتهت بانتصار زيري بن عطية[3].

وفي سنة(390هـ/999م) ثار على باديس أعمام أبيه وهم ماكسن زواوي وجلالة، ومغنين وعزم، وتمكنوا من الاستيلاء على أشير ونهبها التي كانت تحت حكم عمه، فاتفق باديس مع حماد على أن يتولى هو محاربة فلفل بن سعيد المغراوي ويتولى حماد محاربة أعمامه من بني زيري، فوقعت حرب كبيرة بين ماكسن وحماد وانتهت بمقتل ماكسن وأبنائه الثلاثة محسن وباديس وحباسة.[4]

أما الزواوي ومن معه فقد حاصرهم حماد في جبل نسوة ناحية شرشال ونازلهم أياما، وقد طلب زواوي السلم والأمان من حماد، فعقد له ذلك على أن يرحل إلى الأندلس مع إخوته وأبنائهم.[5]

وفي 12 رمضان 391هـ/05 أوت 1000م توفي القائد الزناني زيري بن عطية[6]، وبذلك عم الهدوء في المغرب الأوسط بفضل جهود حماد بن بلكين وأصبح باستطاعة باديس التفرغ لمحاربة فلفل بن سعيد المغراوي ولتحقيق هذه الغاية قام باستدعاء حماد إلى القيروان الذي لا يمكن الاستغناء عن مساعدته.[7]

---

[1]– ابن عذاري المراكش، المصدر السابق، ص 250.

[2]– تاهرت اسم لمدينتين: يقال لأحدهما القديمة والأخرى تاهرت الحديثة، بينهما وبين مسيلة ست مراحل، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 70.

[3]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 646.

[4]– الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهد بني زيري من ق 10 إلى ق 12م) تر: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 132.

[5]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 8.

[6]– زيري بن عطية : هو المعز بن عطية الزناتي، مات عام 391هـ/1000م وهو يحاصر أشير وقد عمل طويلا لصالح الأمويين بالأندلس ليبسطوا سيطرتهم على أجزاء من المغرب الأقصى. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 398.

[7]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 134.

عندما رحل حماد إلى القيروان في(396هـ/1005م) وجد المعز بن الزيري بن عطية فرصة للاستيلاء على المغرب الأوسط، فتمكن من محاصرة المسيلة وأشير.[1]

فكلف باديس حماد بالذهاب لرد الزناتين وتعهد له بعدم عودته إلى افريقية مرة أخرى وأن يجعله واليا على أشير والمغرب الأوسط وعلى جميع المدن التي يفتتحها من بلاد زناتة وغيرها خارج نطاق الدولة الزيرية[2]، وفي نفس السنة خرج حماد في جيش لطرد خصومه من المغرب الأوسط واضطر المعز بن الزيري بن عطية مغادرة المغرب الأوسط والرجوع إلى المغرب الأقصى.[3]

إن الانتصارات التي حققها حماد ضد خصومه من زناتة وأفراد أسرته مهدت له السبيل في بناء القلعة فقام باختطاطها سنة(398هـ/1007م) بالقرب بمكان يسمى أبي الطويل.[4]

ثانيا: الحدود الجغرافية للدولة الحمادية[5].

لم تتعدى حدود الدولة الحمادية المغرب الأوسط إلا في فترات قليلة من أيامها، حيث امتدت شرقا فحكمت افريقية والقيروان وصفاقس والجريد، وجزيرة جربة من افريقية.[6]

ويذكر أن حدود دولة بني حماد لم تكن تتعدى حدود عمالتي قسنطينة والجزائر[7]، بيد أنها كانت تمتد من الزاب ووادي ريغ وإلى ورجلان في الجنوب.

---

[1]– لسان الدين الخطيب، المصدر السابق، ص 60.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 202.

[3]– رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 20.

[4]– إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 121.

[5]– انظر الملحق رقم (01).

[6]– مبارك ابن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ص 235.

[7] - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 359.

أما في الشمال الساحلي فقد كانت شواطئ الدولة على الأغلب تحتل المسافة الممتدة من بونة وخليج سكيكدة المرسى التجاري لعمالة قسنطينة، حيث أن الدولة الحمادية كانت تتمتع بشاطئ كبير ومجموعة مدن ساحلية شهيرة كجيجل وبجاية وأزفون ودلس وغيرها.[1]

وقد اختلف المؤرخون في تحديد حدود الدولة الحمادية، فابن خلدون يذكر " إن الدولة الحمادية تضم المسيلة وأشير وطينة والزاب وتيهرت ومرسى الحجاج وسوق حمزة وما يفتح من المغرب الأوسط ".[2]

ويؤكد هذا التحديد أبي الفداء للمغرب الأوسط على أنه " من شرق وهران عند تلمسان مسيرة يوم في شرقها إلى آخر حدود مملكة بجاية ".[3]

ويذكر أن حدود الدولة ما بين جبال الأوراس إلى تلمسان وملوية، لكن لا ننسى أن عمالة تلمسان كانت بيد المرابطين منذ(474هـ/1081م) وقبل ذلك كانت بيد زناتة وكانت دار مملكتهم وحواليها قبائل زناتة وغيرهم.[4]

أما الشريف الإدريسي فقد اكتفى بذكر المدن التابعة للمغرب الأوسط وهي " تنس وبرشك وجزائر و بني مزغنة وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير ونقاوس وطبنة وباغاية ودار ملوك وميلة".[5]

---

[1]– أبي العباس القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ص 109.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 210.

[3]– عماد الدين إسماعيل ابن محمد ابن عمر المعروف بأبي الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 134.

[4]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط10، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958، ص 165.

[5]– أبي عبد الله محمد ابن محمد عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق). تح: محمد حاج صادق، الجزائر، (د.م)، 1983م، ص 56.

أما المراكشي فيرى أن الحدود الحمادية " تمتد من قسنطينة شرقا إلى موضع يعرف بالسيق غربا ".[1]

أما عبد الحليم عويس فيرى " أن حدودها كانت على شكل مثلث قاعدته ورجلان في الجنوب وحده الشرقي بونة وخليج سكيكدة وحده الغربي مكان يعرف بالسيق ".[2]

لقد ضمت الدولة مجموعة من أشهر المدن بالمغرب الأوسط كمدينة جزائر بني مزغنة وهي قديمة البنيان تزخر بآثار جليلة.[3]

مدينة قسنطينة وهي كجزائر بني مزغنة بها آثار عجيبة ومباني متقنة، ولها بابان ميلة في الغرب والقنطرة في الشرق.[4]

كما ضمت الدولة الحمادية مدينة تيهرت عاصمة الرستمين أكبر مركز في وسط الغرب الأوسط[5] ، وأيضا مدينة بسكرة ذات الحصون الكثيرة والقرى العامرة[6] ، ومدينة مليانة ذات الآثار القديمة وهي من بناء الروم وقد جددها بلكين بن زيري وتعتبر من أخصب البلاد.[7]

ومن أشهر المدن الحمادية وأكثرها تعرضا للأحداث مدينة بونة، وهي الحد بين المغرب الأوسط وافريقية، ولعبت دورا مهما في الصراع بين الحماديين والزيريين، والحماديين والقبائل العربية بتأثير موقعها الجغرافي.[8]

---

[1]– عبد الواحد المراكشي محي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبع أفريل، 1988، ص 167.

[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 81.

[3]– أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 66.

[4]– أبي عبيد الله محمد ابن سعود العبدري، رحلة العبدري، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص 82.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 61.

[6]– الاستبصار، المصدر السابق، ص 62.

[7]– أبي عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 66.

[8]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 85.

ومن بين المدن التي كانت لها مكانة هامة مدينة سطيف باعتبارها أكبر المدن من الناحية الشرقية، تمتاز بخصوبتها والتي لا يقيم فيها إلا البربر.[1]

بالإضافة إلى عواصم الدولة المتعاقبة أشير والقلعة وبجاية، فمدينة أشير تقع في طريق افريقية جنوب جزائر بني مزغنة، وفي سفح جبل تيطري وغربي جبل شعبة، اختطها زيري بن مناد، وكانت تسمى أشير زيري وشرع في بناءها عام (324هـ/935م).[2]

وقد تطور الدور التاريخي لمدينة أشير تبعا لمدى الاعتماد عليها، فكانت الظهير الذي يحمي جيش حماد ويلجأ إليه في حروبه ضد الزيريين[3]، ولما أسس حماد القلعة سنة(398هـ/1007م)[4] أخذت عمارة أشير تتراجع لكنها بقيت العاصمة الثانية بالنسبة للحماديين.[5]

لقد تعرضت لغارات الهيلالين واستولى عليها ابن خلدون الزناتي عام (468هـ/1076م)[6]، ثم أعيدت للحماديين حتى استولى عليها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين، ثم أعاد بناءها الحماديون بعد الهبوط الذي طرأ على دولتي المرابطين والزيريين، إلى أن سقطت بسقوط الدولة.[7]

[1]– أبي الفداء، المصدر السابق، ص 160.
[2]– ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 203.
[3]– مبارك ابن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 285.
[4]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 277.
[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 88.
[6]– مبارك ابن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 285.
[7]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 88.

مدينة القلعة شرع حماد في بناءها عام (398هـ/1007م)، وجلب لها الصناع، والبنائين والنجارين وغيرهم، واستكثر فيها المساجد، والمدارس، والأسواق واستبحرت في العمارة، وأصبحت مقصدا لطلاب العلم، والعلماء، والتجار وهؤلاء سيشكلون أهل القلعة وستعرف ازدهارا تجاريا كبيرا[1]، ونقل إليها أهل المسيلة وسوق حمزة وفتح أبوابها حتى لليهود والنصارى.[2]

كان موقع القلعة ذا أهمية عسكرية منذ القدم فقد أحسن حماد الاختيار، فهي محصورة بين سفحين شديدي الانحدار، وإلى جانبها الأيمن شق وادي فرج الذي ينحدر جنوبا إلى شط الحضنة، وهذا القول يؤكده الإدريسي أن حماد اختلط القلعة للتحصين والامتناع لحمايته من زناتة بالغرب والزيريين من الشرق.[3]

هذا لا يعني إلغاء دورها الحضاري بل الإدريسي نفسه يصفها بأنها من أكبر البلاد قطرا، وأكثرها خلقا، وأغرزها خيرا، وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكن، ويصفها البكري " بأنها مقصد التجار و بها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر المغرب".[4]

وبقيت حدود الدولة الحمادية في فترة القلعة هي الحدود التي غلبت على فترة الدولة كلها، لكن بعد دخول الدولة في صراعات مع زناتة والمرابطين في الغرب والزيريين في الشرق والقبائل العربية فكانت تتغير حدودها فيمكن القول أن الحد الشرقي لساحل الغرب الأوسط هو بونة والحد الغربي الساحلي كان عند سيق، و الجنوب ورجلان.[5]

---

[1]– إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 123.

[2]– عثمان الكعاك، موجز في التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى غاية الاحتلال الفرنسي، مكتبة العرب، تونس، (د.ت)، ص 170.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص 149.

[4]– أبي عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 49.

[5]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 89.

وفي منطقة الغرب الممتدة بين الساحل والجنوب والتي تقع في عمالة وهران لم تكن حدود الدولة تتجاوز مدينة تاهرت.[1] وقد تعرضت القلعة لبعض الهزات فقد حاصرها المعز بن باديس لمدة عامين حيث اختلف مع القائد بن حماد سنة(432هـ/1140م)[2]، وعلى عهد الناصر بن علناس تعرضت القلعة لغارات الهلالين فنهبوها وخربوها ودمروا مظاهرها الخارجية وفي عهد العزيز غزا البدو القلعة وأجبروا الحامية على عدم الخروج من المدينة.[3]

وفي عام(543هـ/1148م) اقتلع منها يحيى بن العزيز الحمادي ما كان بها من أدوات الزخرف ونقلها إلى بجاية، وبقيت القلعة تابعة لبجاية الحمادية إلى أن سقطت على يد عبد المؤمن الموحدي عام(547هـ/1152م)[4].

أما بجاية فتمثل مرحلة التحضر والانفتاح للحدود والاتساع في تاريخ الدولة الحمادية ويرجع التفكير في بناء بجاية إلى النتائج التي أسفرت عنها موقعة سببية (457هـ/1064م) والتي هزم فيها علناس أمام أبناء عمومته الزيريين أصحاب افريقية ونتيجة خيانة القبائل العربية له، كانت هي السبب في التفكير لبناء بجاية.[5]

ويضيف ابن الأثير رأيه في أن بناء بجاية مرتبط بقصة الصلح بين الناصر الحمادي وتميم بن المعز بعد موقعة سببية وبقصة ابن البعبع أحد رجال تميم له وتآمره مع الناصر، وكان قد ندم على تورطه في الحرب ضد بني عمومته، ومال إلى الصلح وشاور في ذلك أبو الفتوح فقرر

[1] – De beylie (general), la kalaa de beniHammad, une capitale de berbere de l'afrique du nord au 11ème siecle, ernestleraux, paris, 1909, P :22.

[2]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 275.

[3]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 98.

[4]– عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 169.

[5]– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 374.

الوزير إرسال رسول إلى تميم يطلب الصلح و تحسين العلاقات فقبل تميم العرض بموقف الإيجاب.[1]

فأرسل أحد رجاله يدعى محمد ابن البعبع إلى ابن عمه الناصر بن علناس ومعه شروط الصلح، لكن ابن البعبع خان تميم وانضم إلى الناصر ووعده بالمساعدة في امتلاك بلاد تميم، وأظهر له مواطن ضعفها، واقترح عليه بناء بجاية التي مر عليها وأعجبه موقعها، لتكون قريبة من افريقية الزيرية.[2]

وهناك من يرى أن الناصر بن علناس بني بجاية خوفا من غزوات الهلالين وكانت تسمى "بوجي" فرع صغير لإحدى القبائل الكبرى المنتشرة في المغرب ويبدو أن بجاية كانت معروفة قبل تعميرها كمرسى.[3]

ومن الواضح أن اختبار الناصر لبناء بجاية لم يكن إلا نتيجة لما تتمتع به من موقع ومناخ استحواذا على إعجابه، فهي على شكل مثلث قاعدته الميناء أو البحر الذي يقع على ساحله، حيث تقوم كفاصل بين إفريقيا و المغرب.[4]

وتتمتع بجاية بنهر كبير يسمى " الوادي الكبير " وهو منتزهها وعليه بساتينها وقصورها وهذا النهر يأتيها من جهة الغرب من نحو جبال جرجرة.[5]

لما أتم الناصر بنائها أطلق عليها اسمه فأصبحت تسمى الناصرية، وفي عام (461هـ/1068م) انتقل إليها الناصر فأنشأ بها دار للصناعة والأساطيل والمراكب وإنشاء السفن

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 99.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 374.

[3] – De beylie, op.cit, p :22.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 102.

[5]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 339.

حتى صارت عين بلاد بني حماد[1]، واستعمل النهر القريب منها، وأحاطه بكثير من بساتين والجنات وصنع عليه نواعير تسقى من النهر.[2]

يعتبر عهد يحيى الحمادي قمة ما وصلت إليه بجاية من تطور حضاري، أن حدود الحماديين على عهد بجاية هي أكبر حدود وصلت إليها الدولة، لا سيما من الناحية الشرقية إذا قدر لها أن يصل نفوذها إلى افريقية والقيروان كما أنها أوقفت المرابطين عند تلمسان، واضطروا إلى التراجع عن وهران وتنس بعد أن وقفوا على مشارف مدينة جزائر بني مزغنة.[3]

[1]- إسماعيل العربي، "بجاية العاصمة الثانية لبني حماد"، مجلة الثقافة، العدد 18، وزارة الإعلام والثقافة الجزائر، 1973، ص 30.

[2]- الاستبصار، المصدر السابق، ص 59.

[3]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 169.

المبحث الثاني: نظام الحكم وأمراء الدولة الحمادية

أولا: نظام الحكم في الدولة الحمادية ونظمه.

حكم بنو حماد المغرب الأوسط من سنة(405هـ-547هـ/1015م-1152م).

لقد كان نظام الحكم في الدولة الحمادية وراثيا منحصرا في أسرة بني حماد وقد تعاقب على العرش الحمادي تسعة أمراء[1] حماد مؤسس الدولة وثمانية آخرون ينقسمون إلى ثلاثة فروع:

الفرع الأول ينسب إلى القائد حماد ويشمل على القائد وابنه محسن.

الفرع الثاني ينسب إلى محمد ابن حماد ويمثله أمير واحد هو بلكين بن محمد.

الفرع الثالث ينسب إلى علناس بن حماد ويتضمن خمسة أمراء الناصر ابن علناس والمنصور ابن الناصر وباديس ابن المنصور والعزيز بن المنصور ويحيى ابن العزيز.[2]

لقد كان الأمراء يديرون شؤون الدولة بعاصمتها الأولى وهي القلعة، ثم عاصمتهم الثانية بجاية، وقد كان الأمير وحده الحاكم الأمر في حدود الدولة التي كانت تشمل بلاد المغرب الأوسط وبعض المغرب وافريقية في بعض الأدوار.[3]

وقد اعترفت الدولة إلى قدوم الهلاليين بالولاء لبني زيري وللفاطميين بالقاهرة[4]، لكنها اعترفت في فترات منقطعة بالولاء للعباسيين.[5]

---

[1]- انظر الملحق رقم (02).

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 116.

[3]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 173.

[4]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 206.

[5]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 231.

✓ **النظام الإداري:** لم تختلف الدولة الحمادية في تنظيمها الإداري عن دولة الإسلام التي سبقتها كالدولة العباسية أو الأموية بالأندلس[1] وكان على رأسها أمير يسير أمور مملكته بنفسه، ثم بعدها عين وزيرا وأنشأ إدارة مركزية[2] ومن خلال كتب التاريخ التي ترجم فيها لأمراء هذه الدولة يمكن أن نستخلص أهم مظاهر الإدارة ونظمها فيما يلي:

- **الوزارة:** أول وزير حمادي ذكره المؤرخون وزير محسن بن القائد الذي قتل بعدما اعتلى بلكين بن محمد العرش، وكان وزير بلكين وزير سيف يشارك في الحروب، ووزير قلم مكلف بالمراسلة أما وزير يحيى فكانت له سلطة كبيرة وهو ميمون بن حمدون.[3]
- **الإدارة المركزية:** كانت على عهد الدولة الحمادية تشمل ديوان الإنشاء وعلى رأسه كاتب، إن أول كاتب عثر عليه هو كاتب الناصر بن علناس، الذي قتل في معركة سبيتة[4] ، والذي لم يذكر المؤرخون اسمه وكان للعزيز كاتب اسمه عمر بن فلفول، وبقي كاتبا في أيام يحيى بن العزيز، ونجد أيضا أبو عبد الله محمد وهو الذي كتب باسم يحيى لأمراء بني هلال، ليطلب منهم المساعدة بعد فتح الموحدين لبجاية، وابن أبي المليح الطيب الذي كان كاتبا وشاعرا وطبيبا. وكان للحماديين ديوان البريد، وكان متقدما أيام الدولة، وربما استعملوا الحمام الزاجل مثل الزيريين.[5]

[1]– رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 130.

[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 206.

[3]– عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 267.

[4]– سبيبة: ناحية من أعمال إفريقيا ثم من أعمال القيروان ينسب إليها عبد الله محمد بن إبراهيم السبيتي الخطيب بالمدينة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 186. يقول عنها الإدريسي: هي مدينة ازلية كثيرة المياه والأجنة وعليها سور من حجارة حصين، وبها ريض فيه الأسواق والخانات وسكانها شربهم من عين جارية كبيرة عليها جناتهم وبساتينهم وغلاتهم من الكمون والكوياء والبقول. الإدريسي، المصدر السابق، ص 56.

[5] - رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص ص 221–222.

وقد أصبحت العلائم النارية الجبلية مبنية على طريقة حكيمة، ذلك أن المرايا المعاكسة كانت تتخذ بالمنارات، فتعكس الأضواء وتقذف بها إلى البعيد، فتتلقى المراكز الموالية إشارتها، وتتناقلها سائر المراكز على هذا النحو، وكانت المنارة بالقلعة من أكبر هذه المنارات.[1]

- **القضاء:** كان من أعظم وظائف الدولة وكان مستقلا عن الحكم ويهتم بالشؤون الخاصة والعامة كالوصايا والموارث وتحقيق العدالة، وكان القاضي يعين من طرف الأمير ويجهل من عين أول قاضي حمادي[2]. أما عهد العزيز فيعرف اسم قاضيين حماديين هما أبو القاسم بن عبد الرحمن كان قاضيا في قسنطينة وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي قاضي بجاية.[3]

- **الولاة:** انقسمت الدولة الحمادية إلى عدة مدن ولكل مدينة حاكم يخضع للحاكم العام في العاصمة القلعة أو بجاية، وكان للمدن الحمادية عمال وكان عددهم يتغير من أمير لآخر[4] كالقائد أيام أبيه حماد كان له واليان وهما يوسف والي الغرب و ويغلان والي سوق حمزة، أما عهد الناصر فكان المغرب الأوسط ينقسم إلى ست ولايات وكان أخوه الناصر وأبناؤه ولاة على الجزائر وقسنطينة.[5]

- **النظام العسكري:**اعتمدت الدولة الحمادية في إقامة دعائمها وحماية كيانها على دعائم منها الجيش والأسطول، حيث كان لهما دورا في المجال السياسي داخليا وخارجيا.[6]

---

[1]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 208.

[2]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 123.

[3]– المرجع نفسه، ص 125.

[4]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 207.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 252.

[6]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 208.

- **الجيش:** كان للدولة الحمادية جيشا نظاميا متفرعا بالإضافة إلى القبائل العربية والحلفاء المناصرين[1] لهم ولا يمكن تحديد عدد أفراد الجيش الحمادي، ففي عهد حماد كان الجيش الذي وقف معه في مراحله الأولى ثلاثين ألفا[2] ثم بدأ عدد الجيش الحمادي يتغير من مرحلة إلى أخرى ومن قائد إلى آخر لأن حياة الدولة كانت حربية أكثر منها سلمية.[3]

كان الجيش قويا متماسكا يتكون من الصنهاجيين كحكام للبلاد والذين كانت لهم القيادة العسكرية والرتب العليا في الجيش، وكان هناك جيش دائم يخدم فيه أهل البلاد والمواليين للدولة الحمادية[4]، وكان للأمراء الرقيق أو العبيد بعد تدريبهم وإجزال العطاء لهم، وترقيتهم في الرتب مما ساعد الدولة على أن تحافظ على حدودها وتأمين التدخل الخارجي في شؤونها الداخلية.[5]

وكان الجيش مقسما إلى عدة فرق وكانت فرقة بني حماد أكبر الفرق العسكرية التي تدافع عن الدولة، وفرق السودان المشكلة من العبيد[6]، وفرق من الروم والصقليين، وفرق من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام، وكذلك بعض الفرق الأندلسية التي قدمت إلى بجاية بعد فتح الناصر بن علناس الطريق أمامهم للإقامة في العاصمة والمدن الساحلية.[7]

أما الأسلحة فكانت هي الأسلحة المتداولة في العالم الإسلامي المعاصر للدولة في ذلك العصر[8]، سواء في مصر الفاطمية، أو لدى المرابطين وبني زيري، فكانت الأسلحة المستعملة

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 210.

[2]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 64.

[3]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 232.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص310.

[5]- عبد الفتاح مقلد الغنيمى، موسوعة المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحدين (296-668هـ/910-1270م)، ج2، ط1، مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م، ص 353.

[6]- رشيد بوروبية، المرجع السابق، ص 127.

[7]- عبد الفتاح مقلد الغنيمى، المرجع السابق، ص 353.

[8]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 211.

تتمثل في السيف والرمح الطويل والرقيق والترس، ويعرف أن حماد ترك على ساحة القتال عشرة آلاف ترس بعد معركة واد شلف[1]، وكان لحماد خيمة كبيرة اسمها "فازة السلام" يستقبل فيها قادته[2].

وكان الجيش الحمادي يضم قواسين كانت السهام مريشة وذات ألسنة فولاذية.[3]

-الأسطول: استطاع بنو حماد من تكوين أسطول يحمي شواطئها، وكانت مدنها بمفردها تمثل حماية جيدة للأسطول والذي يلعب دورا هاما في التجارة العالمية.[4]

كان ميناء بجاية يلعب دورا عظيما في تاريخ البحر المتوسط في هذا العصر، كما اشتهر أهل ميناء عنابة بأعمال القرصنة حتى أثاروا عليهم النصارى[5]، ورغم جهود الحماديين في سبيل النهوض بالبحرية، إلا إنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى مرتبة عالية من قوة الأساطيل بالقياس إلى الأسطول الصقلي أو الإسباني.[6]

ففي عهد العزيز تمكن الأسطول الحمادي من مواجهة الزيريين في تونس والمهدية وتمكن من فتح جربة.[7]

رغم هذا فإن الأسطول الحمادي لم يقم بأي جهود لصد زحف الصليبيين على جزر البحر الأبيض المتوسط أو المساعدة في دفع الحظر على الأندلس أو الهجوم على صقلية بعد أن

---

[1]- هيصام موسى، الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف موسى لقبال، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص 111.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 224.

[3]- الهادي روجى إدريس، المرجع السابق، ص 141.

[4]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص 27.

[5]- عبد الفتاح مقلد الغنيمى، المرجع السابق، ص 356.

[6]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 201.

[7]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 170.

احتلها النورمان عام (584هـ/1193م) وذلك لأن الدولة ذات قوى بشرية محدودة وإمكانيات عسكرية محدودة يتلائم مع حجم الدولة بقوتها ونقلها السياسي والعسكري في ميدان الصراع آنذاك.[1]

- **النظام المالي:** تعددت مصادر الخزينة في الدولة الحمادية، وتدل الحياة الحربية التي عاشتها الدولة على ذلك، فتمثلت في غنائم الحروب إضافة إلى المبادلات التجارية التي كانت تتم في الموانئ.[2]

مما لاشك فيه أن الحماديين إلى غاية عهد يحيى بن العزيز لم تكن لديهم نقود مستقلة تحمل طابع دولتهم السياسي والمذهبي، حيث أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أن أمراء الدولة الحمادية كانوا يضربون المسكوكات بأسمائهم، ومعنى ذلك أن العملات المتداولة عندهم في التعامل اليومي، والتبادل التجاري كانت هي نقود الفاطميين أو العباسيين كما هو الشأن عند بني زيري[3]، والواقع أن أمراء الحماديين كانوا يضربون نقودهم بأسماء بني عبيد، هذا ما يؤكده عبد الرحمن ابن خلدون في قوله :" واستحدث السكة ولم يحدثها أحد في قومه أدبا مع خلفائهم العبيدين".[4]

[1]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 28.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 208.

[3]- صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986م، ص 507.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 209.

ثانيا: أمراء الدولة الحمادية.

- ✓ **حماد بن بلكين بن زيري بن مناد (405-419هـ/1015-1028م):**

لقد نجح حماد بن بلكين في إقامة دولة له ولأبنائه، فكان شجاعا صارما عالما في الفقه، كريما مع حلفائه، وأقصى من الحجر مع أعدائه، حيث قال عنه ابن الخطيب: "إنه نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه ملكا كبيرا وشجاعا ثابتا وداهية وحصينا."[1] وهو مؤسس الدولة الحمادية حيث أعلن استقلاله عن القيروان[2]، واستعان حماد في إقامة دولته بكل الطرق الممكنة فقد عمل جاهدا على توطيد دعائم دولته التي أنهكتها الحروب، ولم تدخل القلعة في دور التحضر إلا خلال فترة حكم حماد[3]، واستمر حماد في تقريب العلماء والأدباء، ونتيجة جهده احتلت القلعة مكانا استراتيجيا وإداريا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا.[4]

واستمر في سلطانه إلى أن توفي سنة(419هـ/1028م) وتميز عهده بالبناء والتشييد.[5]

- ✓ **القائد بن حماد :(419-446/1028-1054م):**

كان القائد يلعب دور السفير الذي بواسطته تم الصلح بين أبيه باديس حيث توطدت علاقات الصلح بين الطرفين[6]، وبعد وفاة أبيه حماد بن بلكين تولى الحكم، وقد تميزت فترة حكمه في الحقبة الأولى (419-430هـ/1028-1038م) بأن استقام أمر الدولة

---

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 61.

[2]- القيروان: وصفها ابن حوقل أنها أعظم مدن المغرب وأكثرها تجارة وأموالا وأحسنها منازلا وأسواقا، ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 109.

[4]- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 93.

[5]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 379.

[6]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 64.

وعم الهدوء والاستقرار النسبي وكذا وحدة الأسرة مستعينا بإخوته[1]، فقد عين أخاه يوسف على الجزء الغربي من الدولة وأخاه ويغلان على حمزة إحدى المدن القريبة من القلعة.[2]

وفي الحقبة الثانية (430-446هـ/1038-1054م) دخل في طور المشاكل الخارجية، ففي هذه السنة زحف إليه حمامة بن زيري بن عطية الزناتي الذي هاجم غرب المغرب الأوسط، وقد اشتبكا في حروب عنيفة[3]، وقد استمال إليه بعض زناته وسرب إليهم الأموال، ولما أحس حمامة بذلك، صالح القائد ودخل في طاعته ورجع إلى فاس[4]، وبعد معركته مع زناتة انتهج نهجا يحاول به أن يظهر الاستقرار المعنوي لدولته، وذلك عن طريق مخالفته للمعز في مجال السياسة الخارجية[5]، فزحف إليه المعز من القيروان وحاصر القلعة وضيق عليه واستمر هذا الحصار مدة عامين وحاصر أشير ثم توصلا إلى الصلح بشرط أن يعود القائد إلى طاعة العبديين.[6]

وفي سنة(441هـ/1049م) عاكس القائد المعز ودخل في طاعة الفاطميين[7]، وكان من نتائجه أن القبائل العربية التي أطلقها المستنصر للزحف على المغرب لم تصب المغرب الأوسط في عهده بسوء وعاش القائد راضيا بدولته، مطمئنا على مصيرها إلى أن توفي عام (446هـ/1054م).[8]

---

[1]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 109.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 229.

[3]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 86.

[4]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 279.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 114.

[6]- المرجع نفسه، ص 115.

[7]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 86.

[8]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 317.

✓ **محسن بن القائد(446-447هـ/1054-1055م):**

قبل وفاة القائد كان قد عين ابنه محسن ليخلفه على رأس الدولة الحمادية وأوصاه بالإحسان لأبناء عمومته[1]. لقد شهد عهد المحسن الذي لم يدم إلا تسعة أشهر اضطرابات كثيرة، وذلك لأنه خالف أوامر أبيه الذي كان قد أوصاه أن يحسن إلى أعمامه وأن لا يخرج من القلعة قبل ثلاثة سنوات.[2]

لكن محسن لم يكد يتولى الأمر حتى خالف الوصيتين معا، فقد عزم على عزل جميع أعمامه من أعمالهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد بذلك فخالفه، فجمع العساكر وكان يوسف قد بنى قلعة في جبل منيع سماها الطيارة[3]، ولما سمع محسن بخروج عمه عليه خرج إليه، ولكنه بدلا من منازلته، التقى بعسكر عمه مديني الذي خذله أنصاره من مكانه فظفر محسن به وقتله هو وثلاثة آخرين من أعمامه هم مناد و ويغلان وتميم.[4]

ثم كتب إلى عمه يوسف يأمره بالقدوم إليه فرد عليه قائلا: وكيف أطمئن إليك وقد قتلت أربعة من عمومتك حينها استدعى محسن ابن عمه بلكين بن محمد الذي كان عاملا على افريون[5]. ويذكر ابن خلدون أن محسن بعث بلكين بن محمد في طلب يوسف وأصحابه من العرب خليفة بن بكير وعطية الشريف[6]، وأمرهما بقتل بلكين، في طريقهما أخبرا بلكين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل محسن فرجعوا إلى القلعة، ليجدوا محسن

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 65.

[2]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 141.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 118.

[4]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 141-142.

[5]- النويري، المصدر السابق، ص 117.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 229.

خارجها، وعندما أحس أن بلكين معهما فرا إلى القلعة، فأدركوه في الطريق وقتل في ربيع الأول 447هـ/1055م على يد بلكين وأسرع بدخول القلعة.[1]

- ✓ **بلكين بن محمد بن مناد(447-454هـ/1055-1062م):**

تولى مقاليد الحكم في رجب(447هـ/1055م) كان شجاعا وحازما[2] وسفاكا للدماء وقد استهل بداية عهده بقتل وزير محسن بن القائد.[3]

لقد انتهج بلكين خط الاستبداد بالداخل، وشن الحروب المستمرة على المحيطين بالدولة في الخارج، شهدت الدولة في عهده دخول بني هلال للمغرب الأوسط بعدما تغلبوا على الجيش الزيري في معركة حيدران[4]. وبعد ثلاث سنوات من الحروب المستمرة اضطر المعز إلى مغادرة القيروان والسير نحو المهدية، ففتح بنو هلال القيروان في رمضان (449هـ/1057م) ثم واصلوا سيرهم إلى المغرب الأوسط وحاربوا زناتة وكانت حروب شديدة بينهما حتى تمكن بنو هلال من الانتصار على زناتة، وقد وقع اتفاق بينهم وبين بني حماد فحافظ الحماديون على المدن بينما الأرياف تركت للهلاليين[5]، وفي عام (450هـ/1058م) قام جعفر بن أبي رمان مقدم بسكرة بثورة ضد بلكين فوجه إليه بلكين

[1]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 280.

[2]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 66.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 142.

[4]- معركة حيدران: هو مكان حسب ابن خلدون بنواحي قابس، اما ابن الأثير فذكر أنه على ثلاث مراحل من القيروان وهي معركة وقعت بين الزيريين وبني الهلال انتهت بهزيمة الزيريين، ينظر: رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 49.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص ص 66-67.

جيشا بقيادة خلف بن أبي حيدرة، الذي تمكن من الاستيلاء على المدينة وبعث برؤساء بني رمان إلى القلعة وأمر بلكين بقتلهم.[1]

وفي نفس السنة حارب بلكين زناتة بمساعدة قبيلتين هلاليتين الأثبج[2] وعدي وانتصر على زناتة ودفع ببقاياهم إلى الصحراء، توفي سنة (454هـ/1062م) لما عاد من معركته ضد المرابطين.

- ✓ **الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1082م):**

كان وصوله للحكم سنة 454هـ/1062م وكان بنو حماد في هذه الآونة لا يزالون يحتفظون بشمال ووسط المغرب الأوسط، وبالسلطان على الأثيج، وبدأت قوة الناصر تزداد شيئا فشيئا وكان نفوذه يمتد تدريجيا إلى المشرق، حتى أصبحت صفاقس، وقسنطينة، وافريقية فيما بعد تعترف بسلطان بني حماد.[3]

وقد استوزر أبا بكر أبي الفتوح وعقد على المغرب لأخيه كباب وأنزله مليانة، وعلى حمزة أخاه رومان وعلى نقاوس أخاه خزر، وعقد على قسنطينة لأخيه بلباز، ولابنه عبد الله جزائر بني مزغنة وسوق الدجاج[4]، وعلى أشير ابنه يوسف[5]، وكتب إليه حمو بن

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 143.

[2]- الأثبج: يقول عنهم ابن خلدون أنهم أوفر عددا من الهلاليين وأكثرهم بطونا وكان التقدم لهم في حلهم، عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 230.

[3]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 68.

[4]- مرسى الدجاج: هي مدينة قديمة ومرسى بحيث ذكر البكري بأنه غير محمي لا تقصده السفن إلا في الصيف، أما الإدريسي يقول بأنه مأمون وأن سكانه قليلون وأنهم يغادرون في زمن الصيف خوفا من الأساطيل، وبه مختلف السلع وبأرخص الأسعار. بنظر- عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 82. الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 89.

[5]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 160.

مليك البرغواطي من صفاقس بالطاعة وبعث إليه بالهدايا، ووفد عليه أهل قسنطينة ومقدمهم يحيى بن واطاس فأعلنوا بطاعته.[1]

ويذكر أن تميم الأمير الزيري سمع بأن الناصر يذمه في مجلسه، وأنه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعنوه على حصار المهدية.[2]

وفي سنة(457هـ/1065م) خرج الناصر في عدد كبير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثيج[3]، وكان الأمير الزيري تميم قد أرسل إلى أمراء بني رياح وتحالفوا مع زغبة وسليم واتفقوا جميعا على محاربة الناصر فالتقى الجمعان في سبيبة فانهزم الناصر وقتل أخوه القاسم بن علناس وكانت نتائج معركة سبيبة خطيرة على الجانبين فاتفقوا على عقد الصلح.[4]

وفي سنة(460هـ/1067م) انتقلت الدولة الحمادية من الدور الساسي إلى الدور الحضاري مثله الناصر وأبناؤه من بعده، فبنى مدينة بجاية وسماها الناصرية وبنى قصر اللؤلؤة، وظلت فترة حكمه حافلة بالانتصارات الحربية والأعمال[5] واضعا الأسس لبناء دولته الجديدة تصارع الدول المعاصرة في المغرب الإسلامي من حيث القوة والتقدم الحضاري، وقد قال عنها عبد الحليم عويس أنها جزيرة الأمن والسلام بالمغرب

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 161.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 299.

[3]- المصدر نفسه، ص 230.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 372.

[5]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 298.

الإسلامي[1]، وتوفي الناصر بن علناس في السابع جمادى الأولى(481هـ/1082م) ودفن ببجاية.[2]

✓ **منصور ابن الناصر(481-498هـ/1089-1105م):**

وصفه ابن الخطيب أنه :"كان قائما على أمره ضابط الأمور ويذهب في أموره مذهب أبي جعفر المنصور"[3]، فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة ووصلته رسائل الملوك للتعزية بأبيه والتهنئة بالملك من يوسف ابن تاشفين وتميم بن المعز[4]، بقي المنصور سنين في القلعة[5] ثم انتقل إلى بجاية سنة(483هـ/1091م) واتخذها معقلا وصيرها دار ملكه وجدد قصورها وشيد جامعها وكان المنصور مولعا بالبناء، وتأنق في اختطاط المباني، وتشييد المصانع، بنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام.[6]

خاض المنصور عدة معارك فصد الهجوم المرابطي الزناتي فأخذ في ركائبه كافة صنهاجة ومن العرب الأثيج وزغبة وربيعة ونهض إلى غزو تلمسان سنة(476هـ/ 1083م)في نحو عشرين ألف[7] ويقال اثني عشرة ألف[8] ولما وصل بعث العساكر في المقدمة وجاء في آثارهم حتى زحفت عساكره نحو تلمسان واستولت عليها ثم رجع إلى

---

[1]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 177.

[2]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 122.

[3]- أبو جعفر المنصور العباسي: أحد خلفاء بني العباس بويع له بالعهد سنة 36هـ وهو الذي بنى مدينة بغداد، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي زواوي ومحمد محفوظ، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 258.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 455.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 74.

[6]- نفسه، ص 75.

[7]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 234.

[8]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 97.

القلعة[1]، وأثخن بعدها في زناتة وشردهم نواحي الزاب ورجع إلى بجاية فاستقام أمره واستغل ملكه إلى أن توفي في شهر ربيع الثاني(498هـ/1105م) وذلك بعد عودته من حربه الأخيرة ضد المرابطين سبعة أشهر.[2]

- ✓ **باديس ابن المنصور ابن الناصر بن علناس (498هـ/1104م):**

بعد وفاة المنصور خلفه ابنه باديس على العرش الحمادي[3] فكان باديس شديد البأس عظيم النظر فوصفه ابن الخطيب:" أنه كان شديد البأس عظيم السطوة سريع البطش"[4] فكتب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لأول ولايته وجرده من أمواله ثم قتله[5]، ثم خرج من القلعة إلى بجاية فنكب سهام عامل بجاية[6]، كما نكب أخاه العزيز الذي كان واليا على جزائر بني مزغنة في عهد أبيه فعزله ونفاه ووضعه تحت الحراسة في جبل، هلك باديس قبل أن يستكمل ستة أشهر[7]، يقال أن أمه سممته لأنه كان يهددها ويتوعدها بالقتل وتوفي في 13 ذي القعدة(498هـ/1105م).[8]

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 234.
[2]– عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 147.
[3]–رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 73.
[4]– لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 99.
[5]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.
[6]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 205.
[7]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.
[8]– لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 99.

✓ **العزيز ابن المنصور ابن الناصر ابن علناس(498-515هـ/1105-1121م):**

تقلد الحكم وعمره سبعة عشرة سنة، عرف بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه[1]، وما كاد يجلس على العرش حتى أبهر الجميع وأظهر العزم والحزم، حيث كان حسن السياسة فصالح زناتة وأصهر ماخوخ فأنكحه ابنته وكانت أيامه هدنة وأمنا[2].

وقد بلغت دولة بني حماد في عهده منزلة سياسية في رقيها العلمي والحضاري، وكان مولعا بمجالس الأدباء والاشتراك في المناظرات بين العلماء[3]، ومن جهة أخرى قام بعمليات عسكرية أدت إلى اتساع رقعة مملكة بني حماد[4]، فنزلت أساطيله جربة فخضعت له، ودخل أهلها في طاعته ثم اتجه نحو افريقية، وكان بها بنو خراسان فاضطر صاحبها أحمد بن العزيز بن عبد الحق الخرساني إلى الدخول في طاعة العزيز واصطلحا على ذلك[5]، وقد حاولت القبائل العربية إحداث فوضى في بلاد العزيز[6]، فأمر ابنه يحيى وقائده علي بن حمدون فوصلا إلى القلعة وتمكنا من تسكين الأحوال ثم رجع يحيى مع عساكره إلى بجاية[7].

[1]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 124.
[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 234.
[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 206.
[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 234.
[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 150.
[6]- لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 99.
[7]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.

وقد شهدت السنوات الثلاث الأخيرة من حكم العزيز وصول مهدي الموحدين الذي كان عائدا من المشرق بعد رحلة علمية ودينية قضى فيها عشرة سنوات (501-512هـ/ 1107-1118م) فنزل بجاية[1]، فشهد بها الصبيان بزي النساء بالظفائر والزينة وشواشي الخز، وألفى الأرذال قد فتنوا بذلك ورأى اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتكحلين وما لا يحل، فحاول ابن تومرت الوقوف في وجه هذه الفوضى بأسلوبه العنيف فوخز الناس وغير أحوالهم فوقعت لأجل ذلك ثغرة استطال فيها الشر، وسلبت النساء حليهم وقام الهرج فلما بلغ العزيز الأمر عرف أن السبب هو ذلك الفقيه فغاظ وغضب[2].

وقد جرت بعض المناقشات بين بن تومرت وبعض العلماء والفقهاء ببجاية انتصر عليهم ابن تومرت وقد حاول كاتب بجاية عمر بن فلفون ملاطفته وراوده على ترك ما هو يسلبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يستجب له[3].

خاف العزيز من اجتماع الناس حول ابن تومرت وميل قلوبهم إليه فأمر بإخراجه من بجاية[4] فخرج منها متوجها إلى قرية ملالة التي وجد بها بني أوروبة[5]، وهم قبيلة صنهاجية ذات اعتزاز فآووه وأجاروه، فطالبهم الأمير العزيز بتسليمه إليه ولكنهم أبو من تسليمه[6]، وبعد أشهر غادر ابن تومرت ملالة وتوجه إلى المغرب الأقصى[7].

---

[1]- محي الدين عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 129.

[2]- ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح:محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 93.

[3]- نفسه، ص 94.

[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 235.

[5]- رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 84.

[6]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[7]- أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 18.

توفي العزيز بن المنصور سنة (515هـ/1121م)[1].

- ✓ **يحيى ابن العزيز(515-547هـ/1121-1152م):**

كان ملكا ضعيف الإرادة حيث قال عنه ابن خلدون "وطالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد استحدث السكة(543هـ/1148م)."[2]، أما ابن الخطيب فقد قال فيه أنه "كان مولعا بالصيد مغرما به مكلفا بالملهبين ....وكان يستلقى على العرش ويستدعي المضحكين وجوارح الصيد ويجلس أبدا بين أيدي إخوته في زي العرائس من الحلي واللباس..."[3]، وكان يسعى في التوسع من المشرق دون اهتمامه بالناحية الغربية التي قامت فيها دولة ناشئة قوية العناصر وهي دولة الموحدين[4]، وأظهر الولاء لعبد المؤمن بن علي الموحدي (547هـ/1152م)[5]، فتوجه نحو مراكش[6]، ثم تحول إلى مدينة سلا[7] ونزل بقصر بني العشر حتى مات (558هـ/1163م).

[1]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 309.

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 262.

[3]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 197.

[4]- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 179.

[5] - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91.

[6] - مراكش: مدينة بالمغرب الأقصى أول من بدأ في بنائها هو أبو بكر ابن عمر عام 451هـ/1060م، ثم أتم بنائها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في حدود عام 470هـ/1077م، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 194.

[7] - سلا: مدينة رومانية على ساحل المحيط الأطلنطي أقصى المغرب، احمد مختار العبادي، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة من رسائله، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، 1983، ص 57.

الفصل الثاني

العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجال السياسي

الفصل الثاني: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجال السياسي.

المبحث الأول: العلاقات الخارجية الحمادية مع دول المغرب والمشرق الإسلامي.

أولا: علاقة الحماديين بالزيريين والزناتيين.

أ- مع الزيريين:

إن بدايات التوتر في العلاقات الزيرية الحمادية كانت منذ بناء حماد للقلعة، فأخذ يهيئ ولايته لتحقيق مطامحه[1]، وقد تفطن ابن أخيه "باديس بن منصور" للأمر وأراد عرقلته، فطالبه بالتخلي عما ضمه لولايته وتسليم مدينة تيجبس والقصر الإفريقي[2] وقسنطينة إلى قائده هشام ابن جعفر[3].

ويقول ابن الخطيب " أنه لما امتنع حماد عن أوامر باديس ساء ما بينهما واندلعت حروب كثيرة "[4]، وقد أخذت بعدا آخر لما أعلن حماد استقلاله عنهم وألغى طاعة العبيدين، وراجع الدعوة للعباسيين[5].

وفي صفر عام (406هـ/1016م)وقعت معركة بين جيش حماد وجيش باديس انهزم فيها حماد وتمكن من النجاة[6]، وفي ذي الحجة من نفس العام أمر باديس أخاه كرامة

---

[1] -عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 172.

[2] – عبد الرحمن ابن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 70.

[3]– القصر الإفريقي: مدينة جامعة على مشرق من الأرض ذات مسارح ومزارع. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 155.

[4]– لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي من كتاب أعمال الإعلام، المصدر السابق، ص 71.

[5]– صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م–1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 65.

[6] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 264.

بالتوجه إلى أشير فأتاه حماد بقوة عسكرية ووقعت معركة بينهما انهزم فيها كرامة واستولى حماد على أشير[1].

ويذكر النوبري أن إبراهيم أخ حماد عند وصوله إلى باب باغاية استدعى أيوب بن يطوفت والي المدينة، وقال له إننا تحت طاعة المعز بن باديس، ونريد أن نتصالح بواسطتك فبعث أخاه حمامة وغلامه حبوس بن القاسم بن حمامة لكن حماد قتل الغلام وقيد الإثنين.[2]

هذا ما جعل المعز بن باديس يسير حملة ضد حماد عام(408هـ/1017م)، وقعت معركة كبيرة انهزم فيها حماد، وأسير أخوه إبراهيم ولما رجع حماد إلى القلعة طلب الصلح فاستجاب المعز لذلك وأطلق صراح إبراهيم أخو حماد، وأهدي له مالا ودوابا[3]، وبعث حماد بابنه القائد إلى افريقية فأحسن المعز ضيافته وأقر الصلح بين الطرفين، وتحسنت العلاقات وتزوج عبد الله بن حماد بأخت المعز أم العلو[4].

لكن الصراع تجدد في عهد القائد الحمادي ليحاصر المعز بالقلعة لمدة عامين(430-432هـ/1040-1042م).[5]

ويذكر إسماعيل العربي أن انقطاع السلام بين القلعة والقيروان، والذي يفترض أن يكون المعز كان يفكر في الخروج عن طاعة الفاطميين، وإعادة مذهب السنة لا أساس له من

[1]- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 166.
[2] - النويري، المصدر السابق، ص ص 113-114.
[3] - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 117.
[4]- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 210.
[5] - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 118.

الصحة حين أن المعز لم يقطع الخطبة لصاحب مصر إلا في سنة(440هـ/1048م).[1]

ويعتبر سعد زغلول عام(432هـ/1042م) في غير صالح المعز خوفا من تجدد الصراع مع الحماديين الذين ازداد نفوذهم.[2]

أما سنة(454هـ/1062م) فقد ارتقى كل من تميم بن المعز، والناصر بن علناس إلى السلطة، وواصل كل منهما سياسة التحالف مع أعزب هلال، فالناصر أراد اتباع سياسة سلفه بلكين بن محمد الذي حقق نصرا على زناتة عام(450هـ/1058م) بالتحالف مع القبائل الهلالية،[3] أما تميم فكان حذرا وتوخى المناورة في التعامل مع القبائل الأعرابية.[4]

وقد مثلت معركة سبيبة(457هـ/1065م) فترة توتر في تاريخ العلاقات الحمادية الزيرية، إذ أنها أبانت على تحالف الزيريين مع القبائل الهلالية من رياح وزغبة[5] وتحالف الحماديين مع عدي[6]والأثبح.

وفي سنة(460هـ/1068م) قام الناصر بهجوم على افريقية وحاصر مدينة الأربس[7] بمساعدة الأثيج فاستولى عليها ودخل القيروان وخضع له القائد بن ميمون والي المدينة.[8]

---

[1] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص ص 140-141.

[2] – سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، ج3، منشأة المعرف الإسكندرية، 1990م، ص 409.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 245.

[4] – ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 294.

[5] – زغبة قبيلة هلالية عامرية هوازنية قيسية وهي بطن من سليم منها يزيد بن الأخنس بن جرة بن زغب بن مالك الزغبي من بني بهثه من سليم بن منصور، موطنها جزيرة العرب. أبو سعد التميمي السمعاني، كتاب الأنساب، تر: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ج1، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، (د.م)، 1382هـ/1962م، ص 170.

[6] – عدي: من القبائل العربية المضرية تنسب إلى عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النصر، المصدر نفسه، ص 174.

[7] - الأربس: مدينة تقع غرب جبل زغوان بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 36.

[8] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 172.

وفي عام(461هـ/1069م) غادر الناصر القيروان ورجع إلى القلعة وبعدها تمكن الأمير الزيري من استعادة القيروان وفر القائد بن ميمون إلى الغرب الأوسط، وفي عام (470هـ/1077م) جمعت العائلتين مصاهرة حيث زوج تميم بن المعز ابنته بلارة إلى الناصر[1]، وفي سنة (509هـ/1115م) زوج الأمير يحيى بن تميم ابنته بدر الدجى إلى العزيز بن منصور[2]، وقد استأنفت الهجومات على افريقية في عهد العزيز حيث نزلت أساطيله جزيرة جربة[3] سنة (522هـ/1128م).[4]

وقد مثلت منطقة صفاقس وجربة نقاط نزاع بين الدولتين وتبادل اخضاع هذه المناطق لسيادتهما كما خضعت القيروان لنفس الصراع.[5]

ومن الممكن القول أن محاولات التقرب بالمصاهرة لم تكن إلا لعبة سياسية للتهدئة استعملها الحماديون مع الزيريون ومع غيرهم، وهذا ماجعل علاقتهم تتسم في أكثر فتراتها بالتفكك والعداء.[6]

[1]– سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 453.

[2]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[3] – جزيرة جربة: هي بالمغرب عامرة بقبائل البربر، وطولها ستون ميلا من المغرب إلى المشرق وعرض الرأس الشرقي خمسة عشر ميلا، ومن هذا الطرف إلى البر الكبير عشرون ميلا، ويسمى هذا الطرف الضيق رأس كربون والطرف الواسع انتيجاب ويتصل بها إلى جهة الشرق جزيرة زيزوا. الإدريسي، المصدر السابق، ص 305.

[4] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 294.

[5]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 141.

[6] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 173.

ب- مع الزناتيين:

لقد تميزت العلاقة بين الزناتيين والصنهاجيين بالصراع المستمر والتوتر الدائم، لأن زناتة لها بطون كثيرة كلها تتصارع على الرئاسة والنفوذ[1]، وترجع حيثيات الصراع إلى السيادة الفاطمية الأموية المشتركة في بلاد المغرب، فكانت صنهاجة حليفة الفواطم، بينما زناتة مؤيدة للنفوذ الأموي في المغرب، فأصبح الصراع بينهما في المغرب وضرب بعضهما ببعض[2]، ولم تنتهي الحروب برحيل الفاطميين على شمال إفريقيا واستخلافهم لبلكين بن زيري، بل اشتدت وطأتها إلى أن تولى حماد محاربة زيري بن عطية وابنه المعز.[3]

فأصبحت العلاقات تعرف نوع من الاستقرار وأصبحت هناك حدود متعارف عليها بينهم، ولكنها لم تدم طويلا، ففي سنة (430هـ/1038م) شن حمامة بن الزيري أمير فاس هجوما زناتيا للاستيلاء على الجزء الغربي للمغرب الأوسط، لكن القائد الحمادي تصدى للهجوم مما أجبر الأمير الفاسي بطلب الصلح والاستسلام.[4]

وفي سنة (450هـ/1058م) في عهد بلكين بن محمد حارب زناتة بمساعدة قبيلة الأثيج وعدي، وتمكن من الانتصار عليهم وأصبح بنو هلال من خلفاء الحماديين[5].

---

[1] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 75.

[2] – عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 189.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 228.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 176.

[5] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 76.

وفي عهد الناصر بن علناس حارب المنتصر بن خزرون الزناتي الذي زحف على رأس قوة من بني عدي وزناتة، باتجاه المغرب الأوسط ففتح المسيلة، واحتل أشير فسار إليه الناصر فلاذ بالفرار إلى الصحراء ولكن سرعان ما استأنف أعمال الغزو ببلاد الزاب.[1]

فراسله الناصر وطلب منه الصلح وأقطعه جزءا من بلاد الزاب[2] لكنه قتل من طرف عروس بن سندي زعيم بسكرة باتفاق مع الناصر.[3]

أما عهد المنصور فوقع صراع شديد بين الحماديين وقبيلة بني ومانو[4] رغم العلاقة الحسنة لهذه القبيلة مع أمراء بجاية، وعلاقة المصاهرة التي كانت تربط الناصر الذي تزوج بنت شيخ قبيلة ومانو والمنصور الذي تزوج احدى بناتهم.[5]

وسبب الخلاف يرجع لكون قبيلة بني ومانو وبني يلومي[6] تحالفوا مع المرابطين بعد فتح تلمسان، لذلك توجه المنصور بجيشه لرد المرابطين، فخرب قلاع بني ومانو وبني يلومي واضطر يوسف بن تاشفين إلى عقد الصلح[7]، أما عهد العزيز فكان يؤثر السلم على الحرب فصالح زناتة وتزوج بنت أميرهم ماخوخ.[8]

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 205.

[2] – بلاد الزاب: الزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له ريغي والسبخة لغة هي الأرض ذات النز والملح ولهذا سميت بلاد ريغ بجنوب زيبان بسكرة نسبة لشط ملغيغ. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 214.

[3]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 174.

[4] – بني ومانو: كانوا بالعدوة الشرقية من ميلة إلى أسافل شلف وظهر أمرهم بعد إجلاء صنهاجة لمغراوة. مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 112.

[5] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 76.

[6] – بني يلومي: كانوا مجاورين لبنو ومانو غربا منافسين لهم إلا أن أغلبهم تفرقوا عن موطنهم. مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 212.

[7]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 206.

[8]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 174.

لقد اتبع الحماديون مع زناتة عدة وسائل سياسية من أجل إخماد ثوراتهم المتلاحقة، ورغم هذا فإن الحماديين كانوا يستقبلون اللاجئين المغاربيين الفارين من المرابطين[1]، وانتهت السياسة التي تربط الحماديين بالزناتيين معا أمام الموحدين.[2]

ثانيا: علاقة الحماديين بالمرابطين والقبائل العربية.

أ- مع المرابطين:

ظهر المرابطون[3] على المسرح السياسي سنة 448هـ/1056م في جنوب المغرب الأقصى في عهد بلكين بن محمد بن حماد، وكان المغربان الأوسط والأدنى يتعرضان لغزو كبير من قبل القبائل العربية.[4]

فبرزت مطامع المرابطين نحو الحماديين بحجة أن بعض بطون زناتة لجأت إلى الدولة الحمادية، فرأى المرابطون أن ينقضوا عليهم ويضعوا لهم حدا.[5]

ومن جهة أخرى الاستيلاء على المغرب الأوسط، يمثل عاملا من عوامل أمن الدولة المرابطية بالإضافة إلى أن المغرب الأوسط كان يتحكم في الطريق الموصل إلى المغرب الأقصى وكان الحد الفاصل بين غزوتي هلال الذين خربوا القيروان، ثم هددوا الدولة الحمادية.[6]

---

[1] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 284.

[2] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 177.

[3] – المرابطون: يعود أصلهم إلى قبائل صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء الغربية، وكانت صنهاجة تضم كل من قبيلة لمتونة وجدالة ومسوفة، وقد أرغمتها الظروف على التحالف فيما بينها وكانت لمتونة يتولى زعامة هذه القبائل لأنها أكثرهم عددا وكان يطلق عليها صنهاجة اللثام لأن أفرادها كانوا يضعون اللثام على وجوههم. نهلة شهاب أحمد، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010م، ص 244.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 180.

[5] – حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص 425.

[6] – حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1997م، ص-230.

بالإضافة إلى شخصية يوسف بن تاشفين الراغبة في التوسع والتوحيد، فاندفعوا نحو الشمال ونجح بن تاشفيت في توحيد المغرب الأقصى من سجلماسة[1] إلى طنجة وحدود تلمسان والجزائر وإخضاع شيوخ القبائل لطاعته.[2]لم يبقى الحماديون مكتوفي الأيدي بل قاوموهم بمختلف الوسائل، ولم يتورعوا عن استخدام القبائل العربية، وزناتة ضدهم واستطاعوا أن يحرسوا أكثر ملكهم من زحف المرابطين.[3]

وبعد سقوط سجلماسة، والاستيلاء على المصامدة[4] من قبل المرابطين أدرك الأمير الحمادي بلكين بن محمد أن الخطر وشيك، فحاربهم وزحف إلى المغرب الأقصى سنة(453هـ/1061م) فاضطر المرابطون إلى الفرار نحو الصحراء.[5]

أما عهد الناصر بن علناس فتميز بالهدوء والاستقرار بين الطرفين ولم تقع أي أحداث.[6]

وفي عهد المنصور بن الناصر وقعت حروب عنيفة وتجدد الصراع بين سنتي(494-496هـ/1101-1013م) حيث استطاع الحماديون تحقيق أهم انتصار في معركة تلمسان(494هـ/1102م)[7]، وقد اتبع المرابطون سياسة التحالف مع القبائل العربية ضد الحماديين، واضطربت الأوضاع واسترجع المرابطون تلمسان التي لعب دور المنفذ الذي يدخل منه

[1] – سجلماسة: في صحراء المغرب وهي من أعظم مدنه وعلى طرف الصحراء، وأهلها من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق غانة التي بها معدن الذهب. عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 305.

[2] – أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م، ص 198.

[3] – حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج2، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، لبنان، 1992، ص 28.

[4] – المصامدة: وهم من ولد مصمود بن يونس بربر فهم أكثر القبائل البربرية وأوفرهم من بطونهم برغواطة وغمارة...، تحتل قبائله المغرب الأقصى وتحتل بعض بطونها سهول الساحل الأطلسي والبعض الآخر تحتل إقليم أطلس الكبرى وأطلس الصغرى. حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 34.

[5] – موسى هصام، المرجع السابق، ص 122.

[6] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 181.

[7] – لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 97.

المرابطون إلى الدولة الحمادية[1]، وفي عام(497هـ/1104م) زحف المنصور إلى تلمسان في جيش قوامه عشرون ألف عسكري من صنهاجة وبني هلال وزناتة حسب رواية ابن خلدون[2].

أما ابن الخطيب فيقدرها باثني عشر محلة[3]، وبالفعل حقق الحماديون نصرا كبيرا مكنهم من استرجاع تلمسان وفتحها، فخرجت إليه حوا زوجة تاشفين متذممة راغبة في البقاء، فأكبر قصدها إليه وأكرم موصلها وأفرج عنهم ورجع إلى القلعة.[4]

وكان لهذا الانتصار أبعاد مهمة هو وضع حد نهائي لتهديد المرابطين لحدود الدولة الحمادية الغربية، بالإضافة إلى بطون زناتة بنواحي الزاب، وكذا إلزام كل القبائل التي لم تذعن لطاعته وهذا بإعلان الولاء، مما أهل الحماديين السيطرة على الوضع العام.[5]

لقد بدأ المرابطون بعد وفاة يوسف بن تاشفين يحدون من مطامعهم نتيجة العناء الذي لاقوه في حكم الأندلس وفي حمايتها من النصارى، وكذا الفساد والاستبداد الذي عم البلاد.[6]

ونتيجة لكل هذه الظروف لم يعد المرابطون يفكرون في الاصطدام بجيرانهم خاصة الحماديين وكان همهم هو المحافظة على الأراضي التي بين أيديهم.[7]

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 181.

[2] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 290.

[3] – لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 97.

[4] – عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، الجزائر في التاريخ، (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 208.

[5] – موسى هيصام، المرجع السابق، ص 124.

[6] – عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، المرجع السابق، ص 209.

[7] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 182.

فوجد الحماديون أن المرابطون لم يعدوا خطرا كبيرا عليهم فتحسنت العلاقات وأصبح شعورهم المشترك هو خطر الانبعاث الموحدي الذي بدأ يظهر مطلع العقد الثاني للقرن السادس الهجري.[1]

ب- مع القبائل العربية:[2]

كان دخول الهلاليين وإخوانهم إلى أرض المغرب حدثا هاما ترك أثاره على تكوين المغرب الحضاري كله، وكان السبب المباشر لهذا الغزو هو إعلان المعز بن باديس خروجه عن الخليفة الفاطمي وقطعه للخطبة لهم ولعنه للفاطميين على المنابر[3]، وخلافه مع الوزير الفاطمي المستنصر المعروف باليازوري[4].

هذا ما ترك الوزير الياروزي يقترح على الخليفة الفاطمي بأن يبعث بني هلال وبني سليم[5] للانتقام والثأر منهم عام 442هـ/1048م فتسارعت هذه القبائل نحو افريقية ليهدموا ويخربوا كل ما مروا به في طريقهم، فعمت الفوضى وانتشر الفساد وخربوا القيروان[6].

لقد تقوى نفوذ الحماديين بعد هزيمة الزيريين وعملوا على جلب قبائل بني هلال وبني سليم إلى صفهم فأظهر الحماديون الولاء للفاطميين لكي لا يصطموا بالهلاليين[7]، وتعتبر سياسة الحماديين نحو القبائل الأعرابية ناجحة حسب رأي عبد الحليم عويس حيث أثبتت الأحداث

[1] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 425.

[2] - انظر الملحق رقم (03).

[3] – ابن الأثير، المصدر السابق، ص 46.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 177.

[5] – بنو هلال وبنو سليم: هما قبيلتين بدويتين تجولان في صحراء الحجاز، وبنو سليم في نواحي المدينة، أما بنو هلال قرب الطائف وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ويعبرون على الضواحي. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 61.

[6] – عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها (التاريخية والاجتماعية)، ج1، دار السبيل، الجزائر، 2008م، ص 77.

[7] – عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007م، ص 107.

أنها أفضل من سياسة أبناء عمومتهم الزيريين الذين يتحملون قسطا كبيرا من أضرار هذه الحملة، وقد نجح الحماديون في استغلال هذه القبائل في حروبها ضد الزيريين والزناتيين[1].

وعند وصول القبائل الهلالية إلى المغرب الأوسط لم تحدث مواجهات بينهم وبين الحماديين لأن بلكين بن محمد ترك لهم الأرياف وأدخلهم في صفوف جيشه، ورغم هذا فإن العلاقات الحمادية مع القبائل الأعرابية كانت معقدة، فرغم كونهم في صفوف الجيش الحمادي بمشاركتهم في غزو المغرب الأقصى ونفس الفترة أي سنة 457هـ/1065م أثناء حكم الناصر تحالف الهلاليون مع زناتة ضد بني حماد في معركة سبيبة[2].

وبعد موقعة سبيبة اتبع الناصر سياسة وحيدة ناجحة، هي سياسة التفريق عن طريق التحالف مع بعضهما، فعمق صلته مع قبيلة الأثيج فوقفت معه سنة(470هـ/1067م) عندما حاصر مدينة أربس غرب تونس وافتتحها وأمن أهلها.[3]

أما المنصور فقد سار وفق سياسة أبيه، فقد استطاع استغلال القبائل الأعرابية، وصالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من ثمرها وبرها وغير ذلك، فأقاموا على ذلك باقي أيامه، وأيام ابنه العزيز ويحيى فكانت دوما تحت تصرفهم في حروبهم الخارجية[4]، إن هذه القبائل بدأت تلعب الدور الأساسي في الحماية الخارجية للدولة تحت راية القيادة الحمادية في أنها أصبحت تقوم ببعض الأعمال في الداخل كالمشاركة في حفظ الأمن وجمع الضرائب وغيرها.[5]

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 177.
[2] – سعد زغلول، المرجع السابق، ص 453.
[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 176.
[4] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 119.
[5] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 178.

ثالثا: علاقة الحماديين بالفاطميين.

شهد المغرب الإسلامي سنة(405هـ/1014م) أول خروج رسمي علني ضد الدولة الفاطمية من قبل حماد بن بلكين[1].

وبعد خلعه لطاعة الخليفة الفاطمي قام بفتح مدينة باجة[2]، كما حرض سكان المغرب الأدنى على الشرقيين أي مناصري الفاطميين والشيعيين فقتلوا عددا كبيرا وذلك سنة(406هـ/1015م)[3].

وانقطع ذلك الخيط الرفيع الذي كان يمنح الفاطميين هيبة رمزية ومن ناحية أخرى حاول الفاطميون الحفاظ على العلاقة مع الحماديين وهذا عن طريق التعاطي عن الكثير من مظاهر الخروج إذا كانوا يقابلونها بإرسال الهدايا.[4]

وفي سنة(432هـ/1040م)حاول القائد الحمادي الخروج على الفاطميين وكان الخروج عليهم شعار يرفعه كل ثائر في المغربين الأوسط والأدنى.[5]

هذا ما أدى بالمستنصر الفاطمي إلى تدبير أمر دخول القبائل العربية[6] إلى افريقية، بعد أن قام بإغرائهم بالهدايا الفاخرة فدخلوا إلى افريقية كالجراد المنتشرة على حد قول ابن خلدون.[7]

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 228.

[2] – باجة: في افريقية وهي مدينة كبيرة أولية قديمة فيها حصن حصين قديم مبنى بالصخر أتقن بنائه وهي على جبل شديد البياض، وهي كثيرة الأنهار والعيون، بها قرى كبيرة عامرة، وكان الولاة يتنافسون على ولايتها. عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 56.

[3]– ابن الأثير، المصدر السابق، ص 114.

[4] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 22.

[5] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 168.

[6] – القبائل العربية: يعود أصلهم إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة في نسبها إلى قيس عيلان بن مضر كانوا في جبل غزوان عند الطائف، نقلت أشياعهم إلى الصعيد، وفي العدوة الشرقية من بحر النيل وكان لهم أضرار. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص 13.

[7]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 278.

أما بلكين بن محمد فكان على طاعة العباسيين، فلما سقطت القيروان وخربت من قبل القبائل العربية[1] اضطر ممثل الخليفة العباسي أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي إلى مغادرة القيروان واللجوء إلى سوسة[2]. فلم يحسن إليه أهلها فسار إلى قلعة بني حماد وشارك مع بلكين بن محمد في عدة غزوات وهذا يدل على ميول بلكين السياسي نحو العباسيين[3].

ويقول عبد الواحد المراكشي أن العلاقات الحمادية الفاطمية في عهد الناصر والمنصور وباديس والعزيز أنهم من أتباع الفاطميين والقائمين على دعوتهم[4]، وفي عصر يحيى بن العزيز كان خاضع للفاطميين في بداية عهده حيث أن مركب فاطمي رحل من الإسكندرية إلى صاحب بجاية سنة(532هـ/1137م) محمل بالهدايا والبضائع العظيمة ثم خلعهم وخضع للعباسيين بعد سنة (536هـ/1140م).[5]

لكن الفاطميين لم يفقدوا الأمل في عودة المغرب إلى حظيرتهم بالرغم من معرفتهم أن سكان المغرب يرفضون سياستهم وآرائهم إلا أنهم كانوا يسارعون إلى تقديم الهدايا والألقاب.[6]

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 120.

[2] – سوسة: من بلاد افريقية وهي مدينة قديمة فيها آثار، وهي على ساحل البحر فيها بنيان عامرة بالناس كثيرة المساجد. عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 331.

[3] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 55.

[4] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 145.

[5] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 312.

[6] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 168.

المبحث الثاني: علاقات الدولة الحمادية بالأندلس والمماليك المسيحية.

أولا: علاقة الحماديين مع الأندلس (ملوك الطوائف).

تعود العلاقة بين الأندلس والمغرب الأوسط إلى سنة(290هـ/903م) تاريخ تحديد مدينة وهران، كما أنهم شيدوا مدينة تنس سنة (292هـ/905م) وبذلك أصبحت موطنا للأندلس.[1]

أما عهد الدولة الحمادية فتقلبت أحوال الأندلس، وتميزت بالضعف والفرقة الداخلية، حيث تحكمت فيها عدة عوامل منها أن زناتة حاولت أن تعتمد على بني عامر[2] في الأندلس ضد صنهاجة حيث سد باب الاتصال بين الأندلس والحماديين[3].

أما عصر ملوك الطوائف فاضطربت الأحوال أكثر فعرفت الأندلس تفككا سياسيا، وانحدارا عسكريا جعلها فريسة سهلة للنصارى الذين لم يتوقفوا على انتهاك واستنزاف قواهم، فضلا عن صراعاتهم الداخلية.[4]

بهذا تأكد لملوك الطوائف[5] أن النصارى يرغبون في القضاء عليهم، فطرقوا أبواب المرابطين بالمغرب الأقصى، واستنجدوا بهم فحافظ المرابطون على الوجود الإسلامي بالأندلس، لكن النكبات توالت بسبب قوة الإسبان مما أدى بهم للهجرة نحو المغرب خاصة بعد سيطرة الإسبان على طليطلة عام(478هـ/1085م)، ويقول ابن عذاري :" خرج منها الخاص من أهلها والعام".[6]

---

[1]- عبد الواحد دنون طه، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار العربي، لبنان، 2004م، ص 431.

[2] - بني عامر: تنسب إلى عامر بن صعصعة بطن من بطون قبيلة هوزان القيسية المضرية العدنانية تنتشر في نجد والحجار والعراق والأمواز والمغرب العربي وقد تولت سلالة بني عامر وزارة الأمويين بالأندلس وكانت عاصمتهم بلنسية. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 23.

[3] - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 183.

[4] - راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م، ص 323.

[5] - ملوك الطوائف: هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام 422هـ/1031م لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه، المرجع نفسه، ص 185.

[6] - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص 384.

ومن جهة أخرى فإن معركة الزلاقة[1](479هـ/1087م) حققت انتصارا كبيرا للمسلمين وقد أدرك يوسف بن تاشفين أنه لا فائدة من وجود ملوك الطوائف واتخذ قرار بإسقاطهم ومواصلة الجهاد[2].

مما أدى إلى هجرة واسعة للأندلسيين نحو المغرب الإسلامي منها المغرب الأوسط خاصة بجاية التي شهدت توافد كبير من قبلهم[3]، حيث قال البكري عن توافد الأندلسيين على بجاية "مدينة بجاية آزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس"[4]، ومن بين من لجأ إليها معز الدولة الواثق أبو محمد عبد الله بن المعتصم بن صمادح حاكم آلمرية، الذي أنقذه أبوه في آخر دولته بعد أن أرسله رسولا إلى يوسف بن تاشفيت فاعتقل، وقيد فكتب إلى أبيه فخلصه، وهرب به على البحر، وقصد معز الدولة بجاية فأقام بها تحت رعاية بن علناس وأنزله تنس من أعماله الغربية[5].

وقد زار الشاعر ابن اللبانة الأندلسي[6] معز الدولة في إقامته فقال ما علمت جور الدهر حتى أصبح ذا سيادة وحكم فيها وقد أصبحت هذه المدينة بفضل عمل الأندلسيين الذين تقاطروا عليها مركزا ثريا وقال الإدريسي "وكان فيها الديار والقصور والمنتزهات"[7].

لقد بقي الوضع مضطربا في الأندلس نتيجة إلحاح النصارى في الاستيلاء عليها، فبعث يوسف بن تاشفين ابنه محمدا واليا على شرق الأندلس، وسار هذا الأخير نحو النصارى، وهزمهم ثم تابع

---

[1] – معركة الزلاقة أو معركة سهل الزلاقة وقعت سنة 479هـ/23 أكتوبر 1086م بين جيوش دولة المرابطين متحدة مع جيوش المعتمد بن عباد والتي انتصرت على جيوش الصليبيين بقيادة الملك ألفونسو السادس، كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس حيث أنها أوقفت زحف النصارى في أراضي ملوك الطوائف الإسلامية وأخرت سقوط الدولة. راغب السرجاني، المرجع السابق، ص 195.

[2] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 184.

[3] – مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 248.

[4] – أبي عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 230.

[5] – أبي النصر الفتح الأشيلي المعروف بابن حاقان، قلائد العقبان ومحاسن الأعيان، تح: حسن يوسف، ط1، مكتبة الأبار، الأردن، 1989م، ص 63.

[6] – ابن اللبانة: هو أبو بكر محمد بن عسى المعروف بابن البانة من كبار أدباء الأندلس وشعرائها، نظم القصائد والموشحات توفي سنة 507هـ/1113م بميورقة، المصدر نفسه، ص 494.

[7] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 176.

سيره نحو دانية وكان فيها علي بن مجاهد العامري الذي فر منها، ولجأ إلى بجاية لدى الناصر بن علناس فأكرمه.[1]

وقد وجد الأندلسيين ترحيبا من قبل الأمراء الحماديين ومنهم من احتل مكانة سياسية هامة[2]، بحيث وظفوا في السلك الإداري، وشؤون الإمارة ببجاية وهذه الوظائف لم تكن متيسرة لولا الكفاءة التي برهنوا عليها، والمستوى العلمي الذي كانوا عليه، والإخلاص الذي عرفوا به ولعل هذا ما جعلهم يشكلون طبقة متميزة كان لها خطوة لدى أمراء الحماديين[3]، وهذا ما أشار إليه الغبريني " كان الناس ببجاية على اجتهاد وكان الأمراء لأهل العمل على ما يليق ويراد ".[4]

يمكن القول أن الأندلسيين وطيلة حكم الحماديين لم تكن لهم سياسة خارجية ذات شأن في عهد ملوك الطوائف بفعل صراعاتهم الداخلية، فبعد عهد ملوك الطوائف فقدوا السيطرة على علاقاتهم الخارجية، وعلى الرغم من ذلك فإن الحماديين قد مثلوا للأندلسيين ملجأ سياسي هام.[5]

[1] – أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تح: إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 34.

[2] – مختار حساني، المرجع السابق، ص 207.

[3] – عبد الله بن علي الزيران، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996م، ص 85.

[4] – أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني، الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 85.

[5] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 183.

ثانيا: علاقة الحماديين بالنورمان

كانت القرصنة بالبحر أهم أعمال النورمان[1] حيث هجموا على الأندلس من ناحية لشبونة سنة (229هـ/844م)، وبلغوا سواحل المغرب سنة(245هـ/859م) ولم يكن للنورمان أي علاقة بأسطول المغرب الإسلامي، حتى جاء الهلاليون الذين استولوا على الأراضي، واستنزفوا الأموال كما حدث بين الصقليين شقاق فاستعان بعضهم بالنورمان أسرعوا لنصرتهم[2].

وقد نمت القوة البحرية للنورمان في جنوب أوروبا منذ استيلاء فرسان وليم النورماني على جزء من صقلية سنة(433هـ/1041م)، ثم روجر الذي استولى على جزء آخر منها سنة (444هـ/1052م)، وامتلكها نهائيا سنة(484هـ/1091م) واتخذها قاعدة رئيسية لانطلاق قواتهم على سواحل افريقية والمغرب الأوسط.[3]

وبما أن العلاقات المغربية الداخلية القائمة بين دول المغرب الإسلامي كانت علاقات تفكك وصراع في أغلب الأحيان مما ولد أطماع النورمان.[4]

فرأى الحماديون أنه من الأجدر عدم فتح باب جديد من أبواب الصراع على أنفسهم، حتى ولو كان هذا الباب جهادا مقدسا ضد المسيحيين، فاستغل النورمان هذه النقطة في تعميق علاقات الود مع الحماديين.[5]

---

[1] – النورمان: أصل هذا المصطلح نرثمن ومعناها رجال الشمال وهم من النرويج والسويد والدانمارك، انتشروا في شرق أوربا ثم انتقلوا إلى الغرب وسكنوا حول الأودية الفرنسية، ينظر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 256. ويعرفهم عبد الرحمن الجيلالي أنهم أمة الشمال الأوربي هاجموا أوربا الوسطى في القرن 9م واستولوا على قسم من شمال فرنسا الغربي ثم استولوا على جنوب إيطاليا وصقلية. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 372.

[2] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 257.

[3] – موسى هيصام، المرجع السابق، ص ص 129-130.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 186.

[5] – المرجع نفسه، ص 187.

لقد ملك النورمان جميع البلاد الإسلامية في جنوب أوروبا، حيث عملوا على مواجهة القوات الإسلامية، بينما كانت دول المغرب الإسلامي منهمكة في الحروب فيما بينها، فتوسعت أطماعهم إذا نجد النورمان يحاولون إزالة الحكم الإسلامي في أوروبا ونجحوا في التغلب على المسلمين في مواطنهم الآمنة في افريقيا.[1]

فأصبح واجب الدفاع عما بقي من سيادة المسلمين على غرب البحر المتوسط على عاتق بني حماد وأصحاب القلعة خاصة بعد أن أثقل ضغط الحقد الصليبي كاهل مسلمي صقلية والأندلس، واتساع تأثيراته هذا ما جعل المغرب الأوسط ملاذا آمنا لهم.[2]

ورغم أن سياسة الحماديين اتجاه النورمان غلب عليها روح التسامح والود، إلا أن النورمانيين كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة مصلحية، فما إن استوجبت ظروفهم المصلحية الانقضاض على الحماديين حتى بادروا إلى ذلك دون النظر إلى العهود والمواثيق.[3]

فقد حاول النورمان إغراق الأسطول الحمادي أمام المهدية سنة(529هـ/1134م)، كما شهدت سنة(537هـ/1142م) هجوم على مدينة جيجل فنهبوا الأموال، وأحرقوا المنازل وخربوا قصر النزهة الذي بناه يحيى بن العزيز وسفكوا الدماء.[4]

[1] – شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص 301.

[2] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص 251.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 187.

[4] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 257.

وفي سنة(538هـ/1143م) غزا النورمان اساحل الجزائري فاحتلوا برشك وشرشال[1]، وتنس، وبعد احتلالهم المهدية عام(543هـ/1148م) حاولوا الاستيلاء على الجزائر، كما هاجموا مدينة بونة عام(546هـ/1151م) ولم يمنعهم عن التوغل في الأراضي الحمادية إلا ظهور الموحدين الذين وضعوا حدا لأطماعهم.[2]

ثالثا: علاقة الحماديين بالجمهوريات البحرية الإيطالية.

لقد كانت للجمهوريات البحرية الإيطالية[3] أسطول بحري قوي مكنها من السيطرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، ففي سنة(426هـ/1034م) شن أسطول بيزة بتأييد من أسطول جنوة غارة على مدينة بونة الحمادية التي كانت قاعدة بحرية مهمة فخربها واحتلها مدة قصيرة[4].

وفي سنة(428هـ/1036م) قام أسطول بحري مكون من إثني عشرة سفينة بغزو سواحل مدينة بجاية وغنمت سفينة كبيرة وعددا كبيرا من العرب وقد نالت كل سفينة من السفن المشتركة في الحملة أرباحا طائلة من حصيلة بيع السفن الحمادية.[5]

لقد سارت سياسة الحماديين مع الجمهوريات البحرية الإيطالية في اتجاه واحد نظرا لمتاعب الغزو الهلالي والقطيعة مع الخلافة الفاطمية وكذا أعمال التخريب التي أحاطت السواحل

---

[1] – شرشال: اختلفت المصادر حول اسم مدينة شرشال، فمنهم من يرجعها إلى أنها كلمة أمازيغية قديمة ومنهم من يقول أنها كلمة عربية وهي تعني الشر غادر وانحل، وفي الحقيقة هي كلمة أمازيغية من جزئين: كلمة آشير وتعني الأثار، وشال وتعني التراب، مم يكون أشير شال وهي شرشال، وتعني صوت الماء القوي، وهذا يعود إلى كون المنطقة غنية بالمياه العذبة. www.djelfa.info 12-04-2015, 10h :30

[2] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 374.

[3] – الجمهوريات البحرية الإيطالية: هو الاسم الذي يطلق على مجموعة من المدن التي ازدهرت في إيطاليا في القرون الوسطى، وهي أربعة مدن رئيسية منها أمالفي، بيزا، جنوة، البندقية، تنافست هذه الدويلات مع بعضها البعض سواءا عسكريا أو تجاريا، وبنت أساطيل من السفن لحماية أنفسها ودعم شبكتها التجارية الواسعة في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، 10h,15-04-2015 www.tawalt.com

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 188.

[5] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد وملوك القلعية وبجاية، المرجع السابق، ص 258.

الحمادية، كل هذا أدى إلى انشغال الأسطول عن التأهب للعدو البحري الذي تعاظم بظهور أساطيل المدن الوندالية والصقلية بالإضافة إلى بيزة وجنوة.[1]

هذا ما أدى بالحماديين إلى توطيد صلاتهم بروما والجمهوريات الإيطالية، فقد أقيمت ممثلية في بجاية مع بيزا التي كان والد ليوناردو فيبوناتشي رئيسا لمركزها التجاري.[2]

لقد أقام الناصر بن علناس علاقة ودية مع البابا قريقوري السابع ومدن الساحل الإيطالي الذي منح الرعايا المسيحيين أمنا كاملا.[3]

وكان أيضا مما توصلا إليه الطرفان هو إقامة أسقفية في بونة، وترك للنصارى الموجودين في مدينة بونة حرية انتخاب أسقفهم، وقد انتخب أسقف يسمى سرفاند Servand صادق الناصر على تعيينه.[4]

وقد استغل الناصر سر الأسقف سرفاند إلى البابا قريقوري السابع فحمله هدايا جليلة[5]، كما حمله رسالة ودية إلى البابا، كما اشترى الناصر بن علناس جميع الأسرى المسيحيين الذين عثر عليهم بمملكته، وأرسلهم هدية إلى البابا ووعده بأن يطلق ويعتق كل أسير مسيحي يعثر عليه من بعد.[6]

---

[1] – E.F–Gautier, le passé de l'Afrique du nord, les sieclesObscus paris, 1937, p : 371.

[2] – يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدي، الجزائر، 2009، ص 43.

[3] – قريقوري السابع: ولد في توسكان 1020–1085م، واحد من أعظم البابوات في تاريخ الكنيسة، وقد تولى البابوية خلال الفترة بين 1073–1085م، واشتهر خصوصا بنضاله ضد الإمبراطور هنري الرابع وبعدد من الإجراءات مثل فرض العزوبة على القساوسة. ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 176.

[4] – E.F.Gautier, op.cit, p : 380.

[5] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 258.

[6] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 289.

سرت الكنيسة كثيرا لمبادرة الناصر وعندما عاد سرفاند إلى بونة قام كبار رجال الكنيسة ليبعثوا إلى الناصر رسائل كلها ثناء وتقدير لعمله ولشخصه، وأرسل قريقوري السابع رسالة إلى الناصر تعتبر تحفة في الدبلوماسية وفي المجاملات[1] وتعد أكبر رسالة أرسلت من بابوات روما إلى ملوك المغرب وذلك سنة(469هـ/1079م)[2].

والرسالة تنص على أن البيريك « Abbericus » و سنسيوس « Cencuis » من خدام قصر البابا الذين نشأوا به يرغبان في شرف خدمة الناصر بروما، كما أن الرسالة تنص على أن البابا مستعد لمعاملة كل من تعلق بالناصر معاملة ودية وصادقة.[3]

وفي سنة(508هـ/1114م) وقع حادث تدل نتائجه على رغبة الحماديين في إبقاء علاقة الود والتسامح، حيث وقع رهبان مون كاسان في أيدي القراصنة المنتمين للحماديين أثناء عودتهم من سردينيا إلى صقلية[4]، وبعد فترة وجيزة رمت عاصفة على سواحل صقلية بالرهبان الذين كان قد أرسلهم المطران الأكبر لافتداء إخوانهم، وقد بادر الكونت روجيه حاكم صقلية بإرسال مبعوثيه الخاصين إلى العزيز ملك القلعة فرحب بمساعي روجيه وقبل وساطته[5].

[1] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 258.

[2] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القليعة وبجاية، المرجع السابق، ص 179.

[3] – ينظر الملحق رقم (04).

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 190.

[5] – مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 259.

الفصل الثالث

العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجالين التجاري والعلمي

الفصل الثالث: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجالين التجاري والعلمي.

المبحث الأول: العلاقات التجارية الخارجية للدولة الحمادية.

أولا: عوامل ازدهار التجارة الخارجية.

إن الحياة الاقتصادية للدولة الحمادية قد تقلبت بين مراحل مختلفة وذلك بتأثير العوامل السياسية والاجتماعية المحيطة بها، ويمكن القول أنها عاشت رقي اقتصادي وتجاري انتقل فيه الناس من حياة البداوة إلى الحضارة بمساعدة عدة ظروف منها:

أ- الظروف السياسية:

- إعلان قيام الدولة واستقرارها كان أهم عامل لازدهارها مما سمح لحماد وابنه القائد أن يعيدا ترميم مدنها الكبرى كأشير والقلعة التي لعبت دورا كبيرا في تحقيق الرفاء، وتمتعت برفاهية مترفة[1]، وقد وصفها البكري أنها "مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب"[2].
- فقدان الدولة الزيرية لمكانتها الأولى واستطاع الحماديون احتلال هذه المكانة.[3]
- نجد سنة(441هـ/1049م) في القيروان أصدر الزيريون مرسوما يمنح التداول بالعملة الفاطمية، حيث يقول ابن خلدون أن المعز أمر بإحراق بنود الفاطميين ومحو أسمائهم من الطرز والسكة.[4]

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 219.

[2] – أبي عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 49.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 220.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 325.

- وفي نفس السنة يقول ابن عذاري المراكشي تم تبديل السكة مما نتج عنه تضرر التجارة مع مصر، ودول المشرق الخاضعة للفاطميين، وقلل من الوساطة التي كان يقوم بها تجار المغرب في التجارة الدولية للبحر الأبيض المتوسط.[1]
- مما انعكس إيجابا على الحماديين إذ انتقلت التجارة إلى أملاكهم.
- كما كان لقدوم الجيش المغربي نحو مصر مع المعز لدين الله الفاطمي[2] أثر كبير في فتح نوافذ العلاقات التجارية مع المشرق العربي ومصر فالأموال التي حملها المعز معه إلى مصر تدل على مدى الوفرة الاقتصادية التي كان يتمتع بها المغرب.[3]
- كما سمحت الظروف السياسية بربط علاقات بالدول المجاورة للحماديين حيث أن سياسة المسالمة مع العرب، أو المسيحيين[4] كان لها أثر إيجابي على الحياة التجارية، فقد كان الناصر بن علناس على علاقة صداقة مع البابا جر بجوري السابع، وقد تبادل الرسل، والمكتبات بينهما وظل الناصر طيلة مدة حكمه في حالة سلام مع المدن الإيطالية.[5]

[1] – ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 402.

[2] – المعز لدين الله الفاطمي: هو معد بن تميم ولد بالمهدية يوم الإثنين في رمضان سنة 319هـ/931م وولى وله اثنان وعشرون سنة. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 64.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 222.

[4] – المرجع نفسه، ص 226.

[5] – حسن حضري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (326–567هـ/973–1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص 124.

ب- الظروف الطبيعية والاقتصادية:

- الموقع الإستراتيجي الذي تتمتع به الدولة الحمادية، وطول الشاطئ على البحر الأبيض المتوسط، وكثرة المرافئ فيه دوره في إيجاد اتصالات بحرية فلعبت القلعة وبجاية دورا كبيرا في هذا النشاط في تحقيق الرخاء الاقتصادي.[1]
- كما أن المغرب الأوسط كانت تخترقه شبكة من المواصلات تربط بين أنحائه المختلفة وتربطه بالعالم الخارجي وبالتالي تطور الحركة التجارية.[2]
- بالإضافة إلى وجود الأراضي الزراعية والمناخ الملائم، وكذا وفرة الغابات والمواد الخام مما نتج عنه عدة صناعات كصناعة المعادن والصناعات الحرفية والزخرفية[3].

كل هذه العوامل مكنت الدولة الحمادية من مزاولة تجارة ناجحة سواء في الداخل أو الخارج مما جعلها تجد صلات تجارية مع الأقطار الأخرى، فكانت التجارة الخارجية إحدى الضروريات الاقتصادية للدولة الحمادية.[4]

[1] – إسماعيل العربي، (العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد)، مجلة الأصالة العدد 19،20، مج7، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 332.

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 139.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 226.

[4] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 229.

ثانيا: الطرق التجارية.

لقد سعت الدولة الحمادية لحماية الطرق والتجارة[1] وتوفير كل ما تحتاجه القوافل.

هذا ما أدى إلى تنشيط الحركة التجارية بين مدن المغرب الأوسط ومع الخارج مما يجعل التجار ينتقلون بحرية تامة وهو ما ساعد على تفعيل حركة البيع والشراء وتبادل السلع.[2]

فبجاية كان بها خمسة أسواق وهي سوق الصرف القيصرية، باب البحر، وسوق يقع قرب حومة المذبح، وبه كان القراصنة الحماديون يبيعون أسراهم.[3]

كما كان هناك أسواق أخرى عبر مختلف المدن الحمادية مثل المسيلة وجزائر[4] بني مزغنة، حيث كانت تتوفر على طرق مواصلات متنوعة تساعد على إحداث تكامل اقتصادي داخلي للدولة[5] وهي تتبادل فيما بينها مختلف المنتوجات، يقول ابن خلدون: " أن بجاية تجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران وأن مدينة الجزائر يتجهز بسمنها وعسلها إلى سائر البلاد وأن سمك المسيلة يصطاد منها ويحمل إلى قلعة بني حماد ".[6]

[1] - انظر الملحق رقم (05).

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 149.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 227.

[4] – الجزائر: كانت قديما تحمل اسم إيكسيوم ثم استقرت بها قبيلة بربرية تسمى بني مزغنة في القرن 4هـ/10م، أسس بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة جزائر بني مزغنة، ولقد توسع عمرانها في القرن 9هـ/15م إلى حوالي أربعة آلاف دار. ينظر: توفيق المدني، المرجع السابق، ص 193.

[5]– إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، المرجع السابق، ص 333.

[6]– عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 289.

ويذكر الإدريسي المسافة التي يقطعها المسافر الذي يغادر العاصمة الحمادية ويقصد عدة مدن أو قرى، فقال: " من بجاية إلى ايكحان يوم أو بعض يوم ومن مجانة إلى يلزمة يومان ومن بجاية إلى باغاية ثمانية أيام وبين بجاية والقصرين ستة أيام وبين بجاية و طبنة[1] سبع مراحل ".[2]

وقد ذكر الإدريسي أسماء لبعض القرى في الطريق بين بجاية والقلعة وهي " المضيق وسوق الأحد وحصن تاكلات وسوق الخميس وحصن بكر وحصن آرفو وقصر بني تراكش وحصن تافلكات وقصر عطية ".[3]

كما توجد طرق بحرية من بينها تلك المراسي المتواجدة على ساحل البحر التي كانت تحت نفوذ الحماديين كجيجل[4] وجظائر بني مزغنة وبجاية وتنس وبونة وغيرها[5].

ويذكر البكري هذه المراسي فيبدأ بمرسى أسلن ومنه في اتجاه الشرق الماء المدفون يليه مرسى عين خروج تفصله عن وهران 40 ميلا، ثم يليه مرسى قصر الفلوس، ثم مرسى مغيلة بني هاشم بينهما 35 ميلا، ثم مرسى تنس، ثم مرسى جزيرة وقور على بعد 20 ميلا، ثم مرسى شرشال، ويليه مرسى جزائر بني مزغنة ثم مرسى بجاية، وهي مدينة آهله عامرة بسكان الأندلس تدخله السفن محملة ثم مرسى بوتة، ثم مرسى الخرز[6] وهو آخر مراسي الجزائر يأتي بعده مرسى طبرقة

[1] - طبنة: مدينة متطورة العمران، يتخللها سهول واسعة تمتد بضعة كيلومترات، وينساب على طرفيها واديان هما وادي بريكة جنوبا ووادي بيطام شمالا الذي جعله الجغرافيون المسلمون النواة الرئيسية للثورة الزراعية والحيوانية ومصدر الرخاء حتى قيل عن أحمد أوديتها بيطام بيت طعام. الطيب بوسعد، دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 8، 2008م، ص 06.

[2] - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 94.

[3] - المصدر نفسه، ص 95.

[4] - جيجل: مدينة جزائرية ساحلية أسسها القرطاجيون استمدت أهميتها البحرية عند الفتح العربي. أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 201.

[5] - بونة: تقع على ساحل الجزائر بها أثار كثيرة كانت تعتبر من أهم الموانئ التجارية الفينيقية بشمال إفريقيا. مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 127.

[6] - مرسى الخرز: هو مدينة يحيط بها البحر فيما عدا مسلك واحد، ويقول البكري لتبقى فيه السفن والمراكب الحربية وكان يقصدها الغزاة من كل أفق وهي معروفة بتجارة المرجان. البكري، المصدر السابق، ص: 54.

بتونس[1]، أما بالنسبة للطرق الخارجية فقد توفرت بلاد المغرب الأوسط على شبكة من الطرق البرية التي اتصلت ببلاد المشرق وبلاد السودان وطرق بحرية ربطته ببلاد الأندلس وبلاد الروم عن طريق الموانئ.[2]

يتفق الجغرافيون والمؤرخون أن الحماديين قد نشطوا في باب التجارة الخارجية، فالإدريسي يصف بجاية بقوله :" والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها خافقة، وأهلها مياسير تجار...يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار الشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ".[3]

ويصف صاحب الاستبصار مرساها بقوله: " وهي مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم من الشام وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها ".[4]

فقد نشطت الحركة الاقتصادية فكانت طرق القوافل بين أقطار الشمال الإفريقي وأرض السودان لا تخلو عن السابلة غادية رائحة حاملة أنواع البضائع والسلع.[5]

فأصبحت القلعة وبجاية منطلقا لأكبر حركات التجارة العالمية في ذلك الوقت ونشطت حركة التبادل التجاري الحمادي مع الأندلس.[6]

[1]– صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 266.

[2] – إسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، المرجع السابق، ص 333.

[3] – الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 86.

[4] – مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 21.

[5] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 384.

[6]– حسن حضري أحمد، المرجع السابق، ص 124.

وتعد إيطاليا من أبرز الدول الأوروبية البحرية التي أقامت معها الدولة الحمادية علاقات تجارية واسعة، فالناصر بن علناس عقد حلفا مع أهل بيزا يعطيهم حق المتاجرة في بلاده.[1]

وقد لخص عبد الحليم عويس طرق المواصلات البرية التي تربط المغرب ومصر ضمن ما يلي:

- الطريق الساحلي وهو أكثر أمنا وراحة للقوافل.
- الطريق الجنوبي يبدأ بالفسطاط ويتجه غربا إلى القيروان[2] والسوس.
- طريق يمر بالواحات الداخلية ويتجه إلى السودان الغربي متجها إلى غانة ثم يعدل عنه إلى سجلماسة.
- طريق من مصر إلى سجلماسة.[3]

لقد أصبحت القلعة منطلقا لحركة تجارية جنوبية بحكم موقعها المركزي الذي ربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وتنوع أنشطتها الاقتصادية والرخاء الذي سمح لها بتبوء مكانة خاصة.[4]

أما بجاية فبفضل منفذها البحري لعبت دور الوسيط بين المغرب وأوروبا وسائر مناطق العالم ويذكر العبدري عن نشاط بجاية بقوله: " ولها أقاليم وأعمال ومزارع وبها الحنطة وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب ".[5]

[1]– صالح بن قرية، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 265.

[2]– القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية ولما ولى عقبة بن نافع القرشي على إفريقية ذهب إليها وفتحها وأسلم على يده الكثير من البربر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 246.

[3] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 230–231.

[4]– أحمد بدر، تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق 1980، ص 192.

[5] – العبدري، المصدر السابق، ص 30.

لقد وفرت الدولة الحمادية لأهلها حياة تمتاز بالسهولة والهدوء والرخاء بفضل التجارة الخارجية والمعاملات التجارية التي كانت تتمتع بكثير من الحرية.[1]

ثالثا: المبادلات التجارية.

لقد كانت الدولة الحمادية تصدر إلى أوربا القطن الذي كانت زراعته منتشرة في مناطق عدة كالمسيلة[2]، وبسكرة ومستغانم المشهورة بجودة أنواع القطن وكان يصدر إلى كل من فرنسا وإيطاليا والبندقية.[3]

كما كانت تصدر ريش النعام، والمرجان الذي يستخرج من تنس، ومرسى الخزر، بالإضافة إلى الخيول العربية والبربرية والجلود المصبوغة، وكذا المواد التي تستعمل في الدباغة مثل القشور البجائية.[4]

فبجاية التي منحت اسمها الفرنسي لمادة الشمع « Bougie »[5] كانت تصدر الزيوت التي تمتعت بشهرة واسعة منذ العصور الوسطى، وكذا القمح والشعير، وغيرها من الحبوب وكذلك التمر، والفستق، والتين المجفف من أجود ما تنتجه إفريقيا الشمالية ويحمل إلى أوروبا.[6]

[1] – رشيد مصطفاوي، (بجاية في عهد الحماديين)، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 1، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، محرم 1391هـ/مارس 1971م، ص 84.

[2] – المسيلة: من بلاد الزاب بالقرب من قلعة أبي الطويل، وهي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر في بساط من الأرض ومنبع نهر سهر من مدينة الغدير. عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 174.

[3]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 246.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 229.

[5]– De Beylie, op.cit, P : 24.

[6]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 249.

كما كانت تصدر الفخار[1] والزجاج والذي كانت صناعته مزدهرة في القلعة وبجاية إلى دول الشرق، بالإضافة إلى الرصاص والحديد، والنحاس المستخرج من جبل كتامة، والمرجان الذي كان يصل الفاطميين.[2]

كما كانوا يتاجرون مع الزيريين فيبيعون لهم خشب غابات جبل الرحمن ناحية بونة، كما صدروا التمور والسلع الأخرى إلى السودان عن طريق ورقلة.[3]

كما كانت الدولة الحمادية تستورد الأنواع المختلفة من الخشب، فالبندقية تعطيها مساحات شاسعة من الغابات، فكانت تمد دولة بني حماد بالخشب الخام والألواح والخشب المصنوع.[4]

كما أن منطقة شمال إيطاليا كانت فيها صناعة الدروع والحراب والخوذات والسيوف مزدهرة مما أدى بالأمراء الحماديين باستوراد هذه الأسلحة وتجهيز جيوشهم.[5]

كما استوردت الذهب من السودان عن طريق ورقلة، لكن هذا الطريق ضعفت وقلت الحركة التجارية فيه بعدما استولت الدولة المرابطية في غانا على منابع الذهب وسيطرت على طريقه.[6]

---

[1]– انظر الملحق رقم (06).

[2] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 150.

[3] – عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، المرجع السابق، ص 232.

[4]– الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص 108.

[5]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 245.

[6] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 15.

إلى جانب المعادن كانت تستجلب من إيطاليا أسلاك الحديد، والأبواق النحاسية والأواني المصنوعة من مختلف المعادن، وكان الملوك والأثرياء يستوردون من أوروبا الأحجار الكريمة والياقوت.[1]

كما استوردت من الهند العقاقير مثل جوز الطيب، القرنفل، والرواند والزنجبيل، وكذا الروائح العطرية والبخور مثل اللبان والعود، والجاوي والمسك والعنبر[2].

واستوردت من الصين القطع والأواني الخزفية والفخار المزخرف هذا ما دلت عليه الحفريات الأثرية.[3]

وفي عهد الناصر بن علناس وأثناء مرحلة تجديده وتوسيعه لبجاية، جلب العمال ووسائل البناء من شتى أنحاء البلاد، وبعض الجمهوريات الإيطالية خاصة صقيلية التي توفرت على الزئبق والحديد، والرصاص، والأصباغ والديباج.[4]

فالسلع الواردة برا وبحرا كانت تتوزعها جميع المدن الحمادية، وقد جلب المغرب الأوسط أنظار الرحالة العرب الذين تحدثوا عنه مثل المقديسي الذي قال عنه :" هذا الإقليم بهى كثير، سرى كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص، والرخاء به ثغور جليلة، وحصون كثيرة ورياض نزيهة ".[5]

[1] – عبد الحميد حاجيات وموسى لقبال وآخرون، المرجع السابق، ص 133.

[2] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 297.

[3]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 246.

[4] – عبد العزيز سالم وأحمد مختار العيادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969م، ص 64.

[5]– أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المقدسي البشاري، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، 1906م، ص 173.

رابعا: المسكوكات الحمادية.

تعتبر السكة مظهر من مظاهر سيادة الدولة وهي أهم وسائل المعاملات التجارية، فالسكة التي كان التعامل بها في عصر الدولة الحمادية يمكن التعرف عليه من خلال معرفة علاقة الحماديين بالخلافة الفاطمية والعباسية.[1]

أ- السكة الحمادية الفاطمية:

مما لاشك فيه أن الحماديين إلى عهد بني بن العزيز، لم تكن لديهم نقود مستقلة تحمل طابع دولتهم السياسي والمذهبي بدليل أنه لا توجد في المصادر التاريخية إشارة تفيد من قريب أو من بعيد أن أمراء الدولة الحمادية كانوا يضربون المسكوكات بأسمائهم وهذا ما يدل على أن المعاملات السائدة المتداولة عندهم في التعامل اليومي والتبادل التجاري كانت هي نقود الفاطميين أو العباسيين.[2]

لقد كان أمراء القلعة وبجاية يضربون نقودهم بأسماء بني عبيد إعلانا لتبعيتهم السياسية أو الاسمية على الأقل[3]، كان طراز السكة الفاطمية يتكون من ثلاثة أنواع من النقود الدينار الذهبي وأجزاؤه، الدرهم الفضي وأجزاؤه، والفلس النحاسي أو البرونزي.

لقد كانت السكة الفاطمية تتميز عن غيرها بشعارات تشير إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي المخالفة تماما لشعارات السنة، وتتجلى هذه الشعارات من خلال دراسة دينار فاطمي ضرب بالمهدية(394هـ/1004م) يرجع إلى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي.[4]

---

[1]- حسن حضري أحمد، المرجع السابق، ص 113.

[2]- صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي، المرجع السابق، ص 504.

[3] - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 212.

[4] - محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق، ص 185.

فعلى اختلاف أنواع السكة الفاطمية فقد استمر التعامل بها كعملة رسمية في المجتمع الحمادي رغم تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة وحضارة راقية.[1]

ب- السكة الحمادية العباسية:

في عهد يحيى بن العزيز إذا رفض التعامل بها كعملة رسمية في المجتمع الحمادي واستبدلها بسكة جديدة تمثل ملك وشخصية بني حماد، وكانت له خصائص منها ذكر اسم يحيى بن العزيز وهو أول أمير حمادي ينقش اسمه ولقبه على النقود منذ تأسيس الدولة الحمادية.[2]

كما ضرب هذا الدينار على طراز الدنانير العباسية من حيث الشكل والحجم[3]، وقد وصفها لنا ابن خلدون قائلا إن سكة (يحيى) في الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه.[4]

فدائرة الوجه الواحد كانت توجد الآية التالية :" لله الأمر من قبل وبعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ".[5]

والسطور لا إله إلا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور ودائرة الوجه الآخر بسم الله الرحمن الرحيم، ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة(543هـ/1148م) وفي سطوره " الإمام أبو عبد الله المقتضي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي ".[6]

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 212.

[2] – محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، المرجع السابق، ص 186.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 369.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 363.

[5] – سورة الروم، الآية 04.

[6] - صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، المرجع السابق، ص 510.

المبحث الثاني: أهمية العلاقات الخارجية في التنافس العلمي.

أولا: عوامل رقي الحركة العلمية والفكرية.

لقد نشطت الحركة الفكرية والثقافية في الفترة الحمادية وساعدت على تكوين شخصيتها ورقيها وازدهارها عدة عوامل منها:

- إلغاء حماد للمذهب الشيعي وإتباع المذهب السني الذي أدى إلى تقريب أهل العلم والفقهاء والأدباء فيما بينهم، كما أن بلكين بن محمد بن حماد نقل عددا كبيرا من التلمسانيين إثر إغارته على الناحية الغربية موطن زناتة سنة(454هـ/1062م) ساهموا في نهضة الثقافة في الدولة الحمادية.[1]
- هجرة الأعراب الهلاليين التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية رغم الأعمال التخريبية التي قام بها الهلاليون، حيث أثرت لغة اللسان التخاطب لقبائل بني هلال في اللسان البربري.[2]
- إحتكاكهم بالأندلس وافريقية فقد شهدت الحمادية بجاية هجرة واسعة من الأندلسيين وشجع الأولياء أولادهم على تلقي العلوم من العلماء، مما أشاع جوا حضاريا وعلميا لم تشهده البلاد من قبل.[3]

[1] – محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 121.

[2] – رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 73.

[3] – عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص 282.

- تشجيع ورعاية الحكام الحماديين للعلماء والأدباء والمفكرين فكانوا يؤثرونهم على سائر الطبقات ويقدمونهم في الدولة ويجودون عليهم بالعطاءات والهدايا.[1]
- حركة التنقل بين العواصم الإسلامية والتي غلب عليها طابع البعثات والرحلات العلمية.[2]

كما أن حدود الأقاليم في المغرب لم تمثل حاجزا بين العلماء والأدباء والمفكرين وكانت تعكس تقاربا ثقافيا وثيقا رغم التفكك السياسي[3]، بالإضافة إلى التسامح الديني الذي ميز دولة بني حماد.[4]

كل هذه العوامل ويضاف إليها العلاقات الخارجية للدولة الحمادية والتي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية، فرغم العداوة بين الزيريين والحماديين في أغلب فترات الحكم فقد حفز الزيريون علمائهم على السفر وطلب العلم في بجاية.[5]

فبدأت وفود العلماء والطلاب من المغرب الأدنى[6] إلى المغرب الأوسط، كما أن بنو حماد في مدينة أشير والقلعة قد شجعوا رحيل الطلاب إلى القيروان للتزود بالعلوم.

---

[1] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 89.

[2] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 249.

[3] – محمد الطمار، المرجع السابق، ص 136.

[4] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 250.

[5] – رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 179.

[6] – المغرب الأدنى: كان يسمى افريقية وعاصمتها الأولى القيروان، ثم أصبحت تسمى تونس منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا. ينظر: لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2004-2005م، ص 19.

أما مع الفاطميين فإن العلاقات الثقافية لم تشهد أدنى نمو وازدهار، لذلك كانوا يمنعون نقل بعض العلماء والطلاب الذين يدرسون العلوم الشرعية ولا تمانع العلماء في الطب والرياضيات.[1]

بالإضافة إلى أن الناصر بن علناس كان يشبه بالناصر الأموي، وهذا رغبة في المساواة أو التفوق نظرا للتنافس القائم بين بلدان المغرب، والأندلس، والمشرق[2]، فبرزت بذلك كل حاضرة بلون من العلوم، واشتهرت به فالمهدية عاصمة البحوث الكيماوية، وصقلية عاصمة نقل العلوم العربية إلى اللاتينية، وبجاية عاصمة الرياضيات، منها أخذ الأوروبيون الأرقام العربية، والجبر والمقابلة وهندسة إقليدس[3]، إن هذا التنافس العلمي وجد لتحسن الأوضاع والعلاقات الخارجية ما بين الدولة الحمادية وجيرانها.

ثانيا: أهم رجالات العلم في الدولة الحمادية.

لقد برز علماء وأدباء ومفكرون أجلاء وغدت القلعة وبجاية مركزين هامين للثقافة والعلوم فأنجبت واستقطبت عددا لا يحصى من رجالات العلم والفكر ومنهم:

[1] – إسماعيل العربي، المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 240.

[2] – حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية، ج1، دار النهضة المصرية، 1936م، ص 168.

[3] – محمد قوسيم ،علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف المسيلة، أفريل، 2007م، ص ص 1-2.

- محمد بن حماد الصنهاجي: ولد ببرج حمزة درس بالقلعة وبجاية وتولى خطة القضاء بالجزيرة الخضراء بالأندلس، له عدة مؤلفات منها أخبار ملوك بني عبيد الديباجة في أخبار صنهاجة وله عدة أشعار منها رثائه للقلعة[1]

إن العروسين لا رسم ولا طلل فانظر ترى ليس إلا السهل والجبل

وقصر بلارة أودى الزمان به فأين ما شاء منها السادة الأول

- أبو علي الحسن بن رشيق هاجر من مدينة المسيلة إلى القيروان ثم إلى جزيرة صقلية رغبة في تحصيل العلم والأدب.[2]
- أبو الفضل عطية بن علي بن الحسين بن يزيد الطبني: وكان شاعرا مجيدا إلى بجاية ثم إلى بغداد وسمع بها الحديث من أشعاره

قالوا التحى وإنكسفت شمسه وما دروا عذر عذاريه

مرآه خديه جلاها الصبي فلاح فيها في صدغه [3]

- أبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الإدريسي المعروف بالجزائري ويقول عنه الغبيريني كان من أدباء الكتاب وهو من نظراء شيخنا أبي عبد الله التميمي في علم النظم كان حسن النظم والنثر، مليح الكتابة حسن الوراقة مليح التواشيح إن طال في شعره أعرب وإن اقتصر وأقتصد أعجب وكان شيخ كتبه الديوان ببجاية.[4]

[1] – يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 36-37.

[2] – المرجع نفسه، ص 38.

[3] – الطيب بوسعيد، المرجع السابق، ص 10.

[4] – الغبريني، المصدر السابق، ص 205.

وتعتبر بجاية من أهم المدارس التي زودت أوروبا بمادة علم الحساب والأرقام الغبيرينية، فتربى فيها "ليوناردو فيبونانشي بيزي"[1]، وتعلم على أستاذه البجائي "سيدي عمر" مختلف العلوم والمعارف.

- أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي: أخذ العلم بافريقية عن كبار الأئمة كان ميالا إلى النظم والاجتهاد، قصد المغرب الأقصى وكان متأثرا بآراء الغزالي مكث في القلعة حوالي 13 سنة، فانتصب للعبادة والتدريس كان محترما من جميع الناس وكذا أمراء بني حماد، توفي سنة 513هـ/1119م.[2]
- عبد الجبار بن حمديس الصقلي ولد سنة 446هـ/1054م، هاجر إلى بجاية، كانت له علاقة وثيقة مع المنصور بن الناصر بن علناس ومدح عدد من بني حماد الذين توارثوا الوزارة وقيادة الجيش.[3]

ويصف قصر المنصور فيقول:

أعليت ببن النجم والديران قصرا بناه من السعادة بان

فضخ الخورنق والسدير بحنسه وسما بقمته على الايوان

قصر بقصر وهو غير مقصر عن وصفه في الحسن والإحسان [4]

[1] – ليونادو فيبو نانشي: ولد بإيطاليا سنة 571هـ/1179م، عالم رياضيات، ألف كتاب العد Liberabaci في الحساب عام 1202م، وكتاب الهندسة التطبيقية PraticaGeaMetrica عام 1220م وكتابين شرح فيهما طريقة جديدة لحل المعادلات من الدرجة الأولى والثانية، وأدخل الجبر والحساب والعربية والهندسة في أوروبا. www.alargam.com/maths/htm-04-2015 16h :00

[2] – يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 36.

[3] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 80.

[4] – رشيد مصطفاوي، الحركة الأدبية في بجاية بني حماد، مجلة الأصالة العدد 19–20، مج 07، منشورات وزارة الشؤون الدينية تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص ص 273–276.

- أما ابن لفكون الشاعر القسنطيني الذي حل بعد ابن حمديس فقد عبر عن إعجابه، فقال:

دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما أن مثلها أحد

يا طالبا وصفها إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الأهل والولد

والمتمعن في قصيدتي ابن لفكون وابن حمديس يلمس هذه النزعة في التنافس حيث فضلا بجاية وقصورها على سائر ما بنى الفرس والروم والعرب.[1]

وهكذا تحولت بجاية قبلة لكل المهددين والباحثين عن الحياة والمجد فتركوا أثار علمية وأدبية ذات شأن عظيم.[2]

ثالثا: الروابط الدينية مع المسيحيين وأثرها على العلاقات الخارجية.

لما بنى حماد القلعة سنة(398هـ/1007م) واتخذها عاصمة سياسية لدولته انتقل إليها الكثير من القبائل حطوا رحالهم فيها وانتقلت إليها جاليات مسيحية جاءت من الأوراس ومن افريقية ومن القبائل الكبرى من كتامة و زواوة ومن الحضنة والمسيلة وهذا لما تميزت به سياسة الإمارة من التسامح وحرية المعتقد.[3]

[1] – رشيد مصطفاوي، المرجع السابق، ص ص 277–279.

[2] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 285.

[3] – عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص ص 59–60.

شيدت لهم كنيسة بالقرب من قصر الأمير الحمادي حتى يكونون قريبين منه وتحت حمايته وكانت الأقليات المسيحية التي قطنت تيهرت والقلعة من الأقليات المعاهدة القديمة منهم من أصول افريقية وبربرية وبيزنطية.[1]

وقد تمتع المسيحيون في المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا بقدر من الاستقلال الديني فكان لهم حرية ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية واحترام العقائد.[2]

ويتجسد هذا من خلال علاقات بني حماد بباوات روما ولا سميا عهد الناصر بن علناس والباب قريقوري السابع Grégoire حيث تبادل الطرفان رسائل تحمل عبارات الود وحسن التقدير.[3]

وكان ملوك بني حماد إزاء طائفة المسيحيين في مختلف الفترات موقف التسامح والرعاية والعطف مما سمح لها بالاندماج في الحياة والمساهمة في مختلف ألوان النشاط الاقتصادي والثقافي وقد كانت سياسة بني حماد نحو رعاياهم المسيحيين موضع تقدير أوربا عموما.[4]

لدرجة أن باوات روما كانوا يلقبون ملوك بني حماد بملوك موريتانيا السطيفية.[5]

وقد تراجع عدد المسيحيين بالمغرب الإسلامي نتيجة عدم طاعتهم للأساقفة حيث وجهت البابوية رسائل للأساقفة بالمغرب الإسلامي منها وثيقة بعث بها قريقوري السابع سنة

[1]– M.L. De Mas latrie, traites de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionle au moyen age, Herariplon, Imprimeur editeur 8 rue garanciere paris, 1866, p : 21-22.

[2] – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 389.

[3] – M.L.DE mas latrie, op.cit, p : 24.

[4] – مبارك من محمد الميلي، المرجع السابق، ص 259.

[5] – إسماعيل العربي، دولة بني حماد وملوك غرناطة، المرجع السابق، ص 134.

(463هـ/1073م) والتي تلمح إلى شكوى البابا من عدم طاعة المسيحيين وفي رسالة أخرى يطلب البابا من الأسقف أن يصبر على المعاملة السيئة التي يتلقاها من المسيحيين.[1]

وفي سنة(466هـ/1076م) اضطر رئيس أساقفة قرطاجنة إلى إرسال أسقف بونة الجديد إلى روما لتتولى البابوية ترسمه في منصبه إذ تعذر على أسقف قرطاجنة جمع ثلاث أساقفة من كافة أنحاء المغرب لإقامة موكب الترسيم وتقليد منصبه الديني وأرسل البابا معه رسالة إلى كهنة مدينة بونة وشعبها يطلب منهم أن يطيعوا الأسقف الجديد وأن يؤدوا الصلاة بكل أمان.[2]

[1] – رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2007، ص ص 188-201.

[2] – المرجع نفسه، ص ص 201-202.

الخاتـــــــــــــمة

خاتمة

ما يستخلص من هذا البحث هو أن الدولة الحمادية على ما دار ما يقارب القرن والنصف قرن من الزمن استطاع حكامها أن يؤسسوا دولة بكيانها السياسي والاجتماعي والحضاري وكان أمرا طبيعيا أن تقتفي هذه الدولة أثر الخلافة الإسلامية، وأن تجاري الأمراء العرب في المشرق والمغرب في مظاهر الحياة الأدبية والمادية.

وبعد دراستنا للعلاقات الخارجية للدولة الحمادية نستنتج أن النهج السياسي لم يكن سوى مدارات لسياسة فرضتها الظروف للمحافظة على استقرار الدولة وكيانها.

كما تعتبر حلقة تغيير تبعا لتغير الخصوم وهذا ما تجلى في علاقة الدولة الحمادية بالفاطميين، حيث أن جانبها السياسي ارتبط لحد ما بالجانب المذهبي خاصة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر وهذا لا ينفي علاقتها الاقتصادية المتينة مع المدن الفاطمية التجارية.

وعلاقتها بدول الجوار وأبناء عمومتهم فكانت تتأرجح بين العداء تارة وبين سياسة السلم تارة أخرى.

كما استخلصنا أن من مآثر الحماديين في ظل العلاقات الخارجية مع القبائل الأعرابية أنهم اتبعوا سياسة الترويض لهذه القبائل واستطاع الحماديون أن يحموا الحضارة المغربية من الدمار الكامل.

وكانوا الوريث الوحيد لحضارة القيروان التي فرض عليها الأعراب الدمار والتشتت وكان في الإمكان أن يلقى المغرب الأوسط المصير نفسه لولا السياسة الحمادية اتجاه هذه القبائل.

أما العلاقة مع الأندلس فكانت الدولة الحمادية بمثابة الملجأ السياسي الهام حيث تبوء الأندلسيين أصحاب الكفاءات والمستوى العلمي أعلى المناصب والمراكز الإدارية في الدولة الحمادية.

وتميزت العلاقة الحمادية مع المسيحيين بالود والتسامح في الأمور الدينية، حيث سمحت لهم بممارسة الطقوس المسيحية على مدار تأسيس الدولة.

قائمة الملاحق

الملاحق:

الملحق رقم (01): دولة بني حماد – الحدود وأهم المواقع.

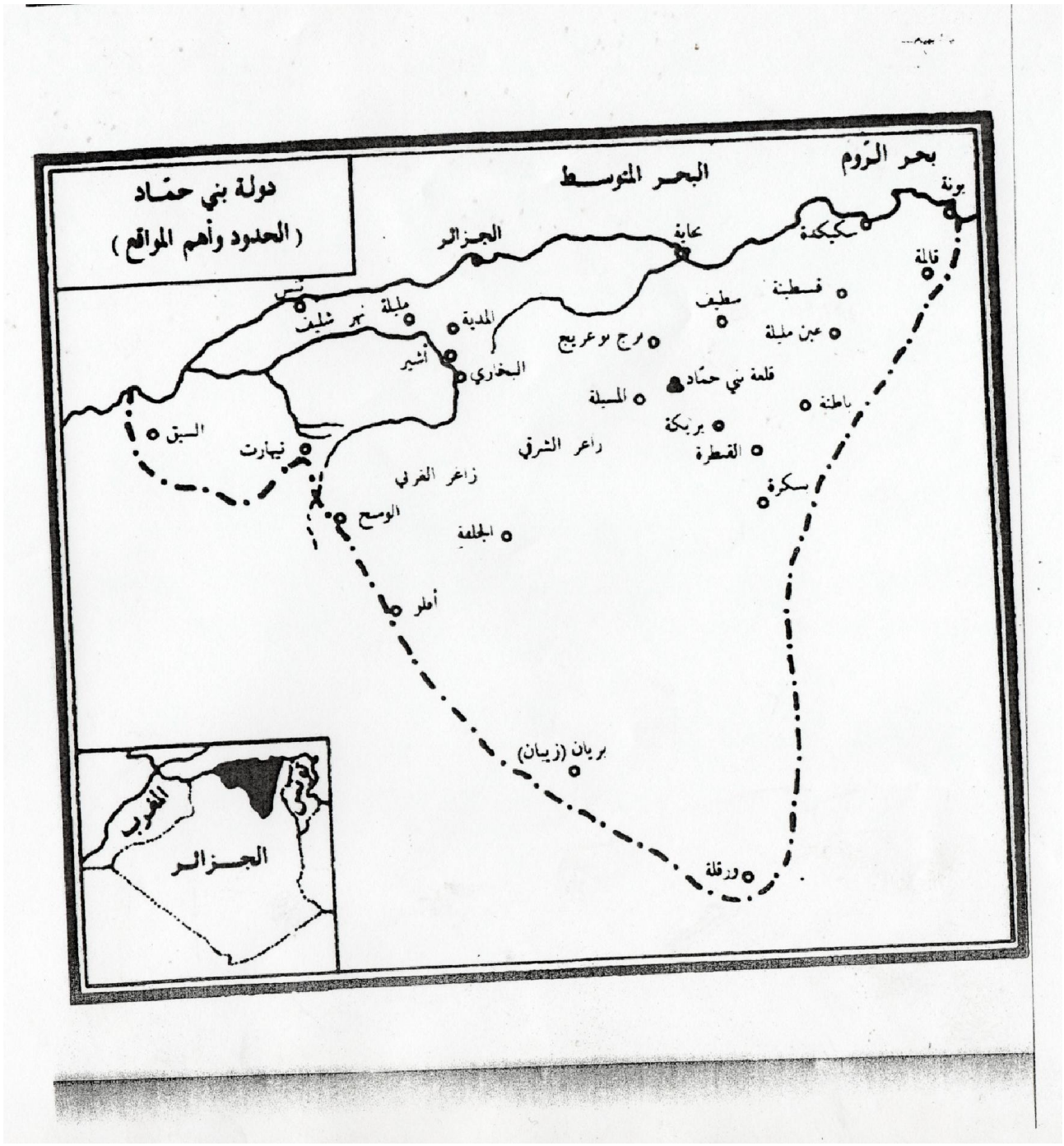

عبد الحليم عويس،دولة بني حماد:صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط1،دار الشروق ،الجزائر،1980م ، ص 97.

الملحق رقم (02): جدول الأسرة الحمادية الحاكمة بالمغرب الأوسط.

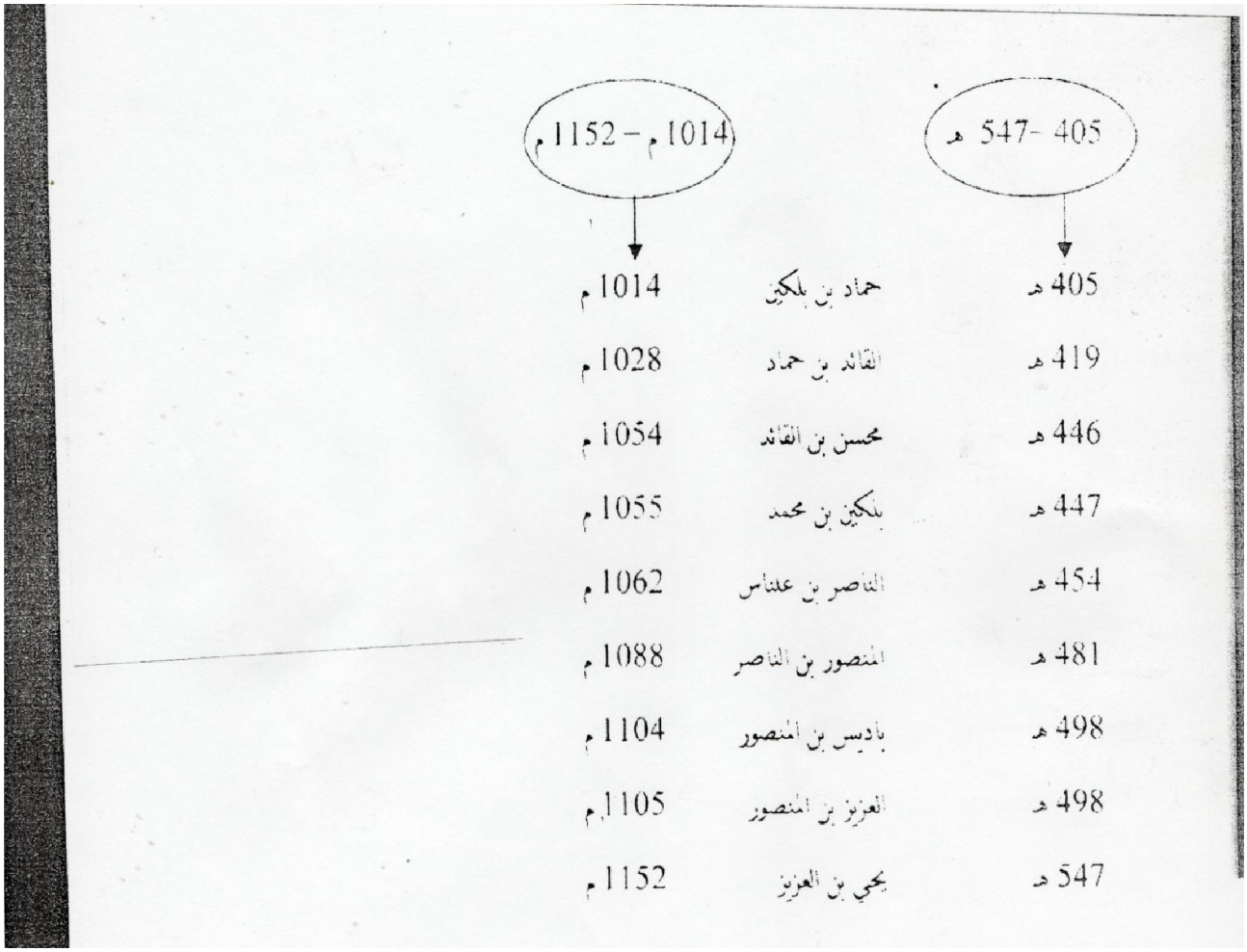

سليمان أحمد سعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرة الحاكمة، ج1، ط1، دار المعارف، مصر، 1969، ص 48

الملحق رقم (03): النزوح الهلالي والسليمي والمعقلي على عهد بني حماد.

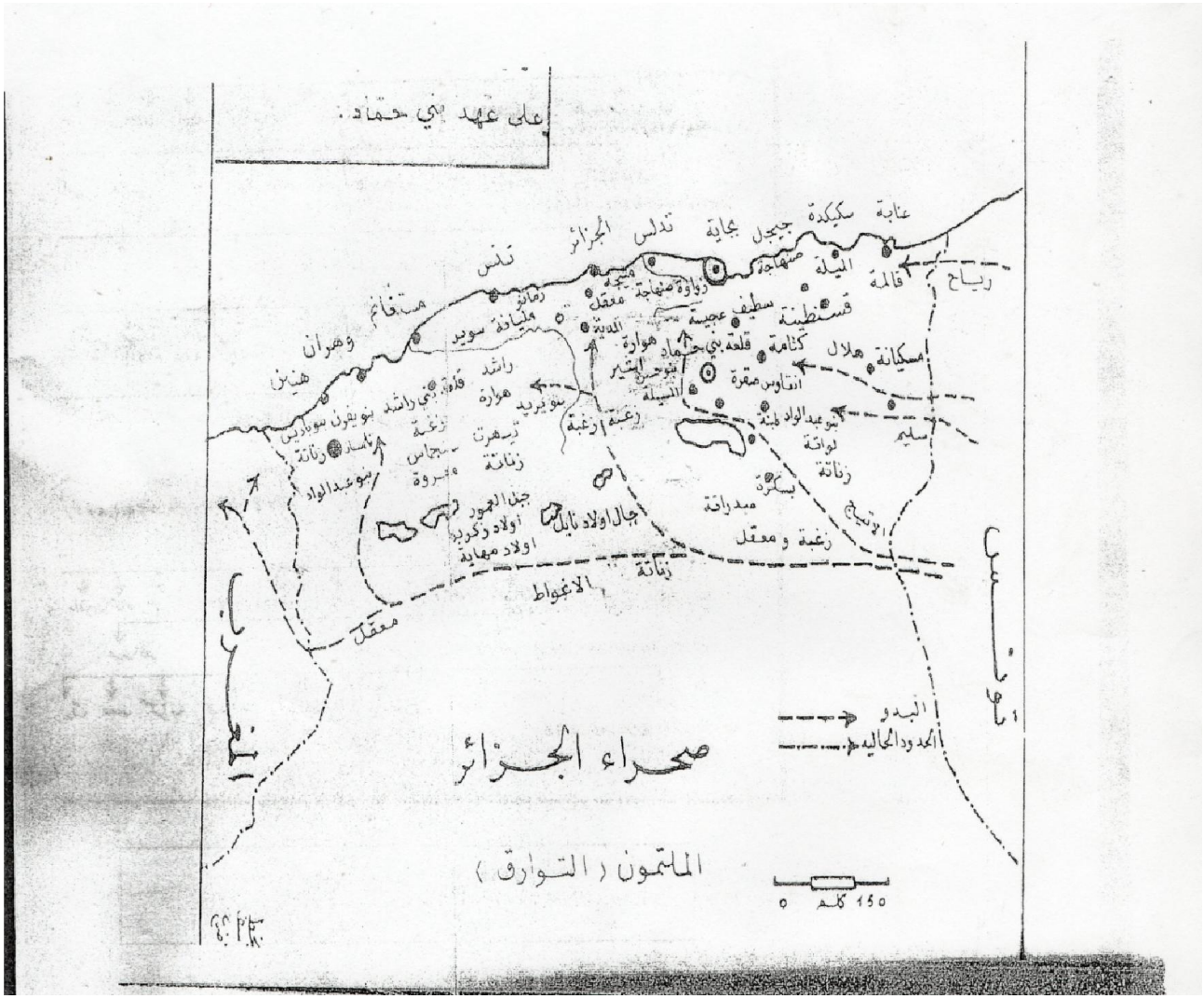

محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م، ص 117.

الملحق رقم (04): رسالة قريقوري السابع إلى الناصر بن علناس.

" من قريقوري السابع... خادم خدام الله.. إلى الناصر ملك ملوك موريتانيا ومقاطعة سطيف في افريقية، تحيات وبركات رسولية...

" كتبتم إلينا رسالتكم تطلبون إلينا تعيين قس، وفقا للشرائع المسيحية وهو هذا القس الخادم (سرفاند) الذي بادرنا بتعيينه، لأن طلبكم كان منصفا وفي نفس الوقت أرسلتم إلينا بعض الرسائل وأطلقتم صراح المسيحيين الذين كانوا أسرى لديكم مراعاة للطوباوي الباربير، أمير المبشرين، وحبالنا، ووعدتم بإطلاق صراح كل من يوجد لديكم ثانية.

" ولاشك أن الله خالق كل شيء، والذي لولاه لما استطعنا شيئا على الإطلاق، لاشك أنه قد ألهمكم هذا الحلم وهيأ قلبكم لهذا العمل النبيل – والله القادر – الذي أريد لكل الرجال النجاة، ولا يريد الهلاك لأحد – لا يتقبل منا شيئا أكثر من تقبله لحبنا لمن يماثلوننا – بعد حبنا الواجب له – ومن مراعاتنا لذلك المبدأ القائل :" افعل للآخرين ما تحب أن يفعلوه لك" ونحن بصفة خاصة ملزمون بأن تمارس الشعوب الأخرى فضيلة المحبة هذه، ونحن وأنتم بصورتين مختلفتين – نعبد نفس الإله الواحد، وكل يوم نمجده ونجل فيه خالق القرون وسيد العالم.

وقد أعجب نبلاء روما – الذين عرفوا منا نبأ الصنيع الذي ألهمكم الله إياه سمو قلبكم وأشاعوا الثناء عليكم، وثمة اثنان من بينهم من أكثر أتباعنا ألفة – وهما: البيريك وسنسيوس اللذان نشآ معنا منذ يفعانهما في قصر روما – يرغبان في توثيق أوامر الصداقة والمصالح الخاصة معكم،

وسيكونان سعيدين إذا استطاعوا أن يكونا من ذوي الخطوة لديكم وفي وطنكم إنهما يرسلان إليكم بعض رجالهما الذين سيشرحون لكم مدى تقدير سيديهما لسعة أفكم وسموكم ومدى سرورهما بتقديم أية خدمة لكم هنا، ونحن نوصي جلالتكم به ونطلب منكم لهم نفس الحب ونفس الوفاء الذي سنكنه دائما لكم، ولكل من ينتمي إليكم ويعلم الله أن عزة الله القادر هي التي تلهمنا الصداقة التي قد نذرناها لكم، ويعلم مدى رغبتنا في سلامكم ومجدكم في هذه الحياة والحياة الأخرى ونحن ندعوه من أعماق القلب أن يتلقاكم بعد حياة مديدة في أصفيائه في نعيم الأب المقدس إبراهيم.

عبد الحليم عويس،دولة بني حماد:صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط1،دار الشروق ،الجزائر،1980م ، ص 188.

الملحق رقم (05): الطرق التجارية قبل الغزو الهلالي.

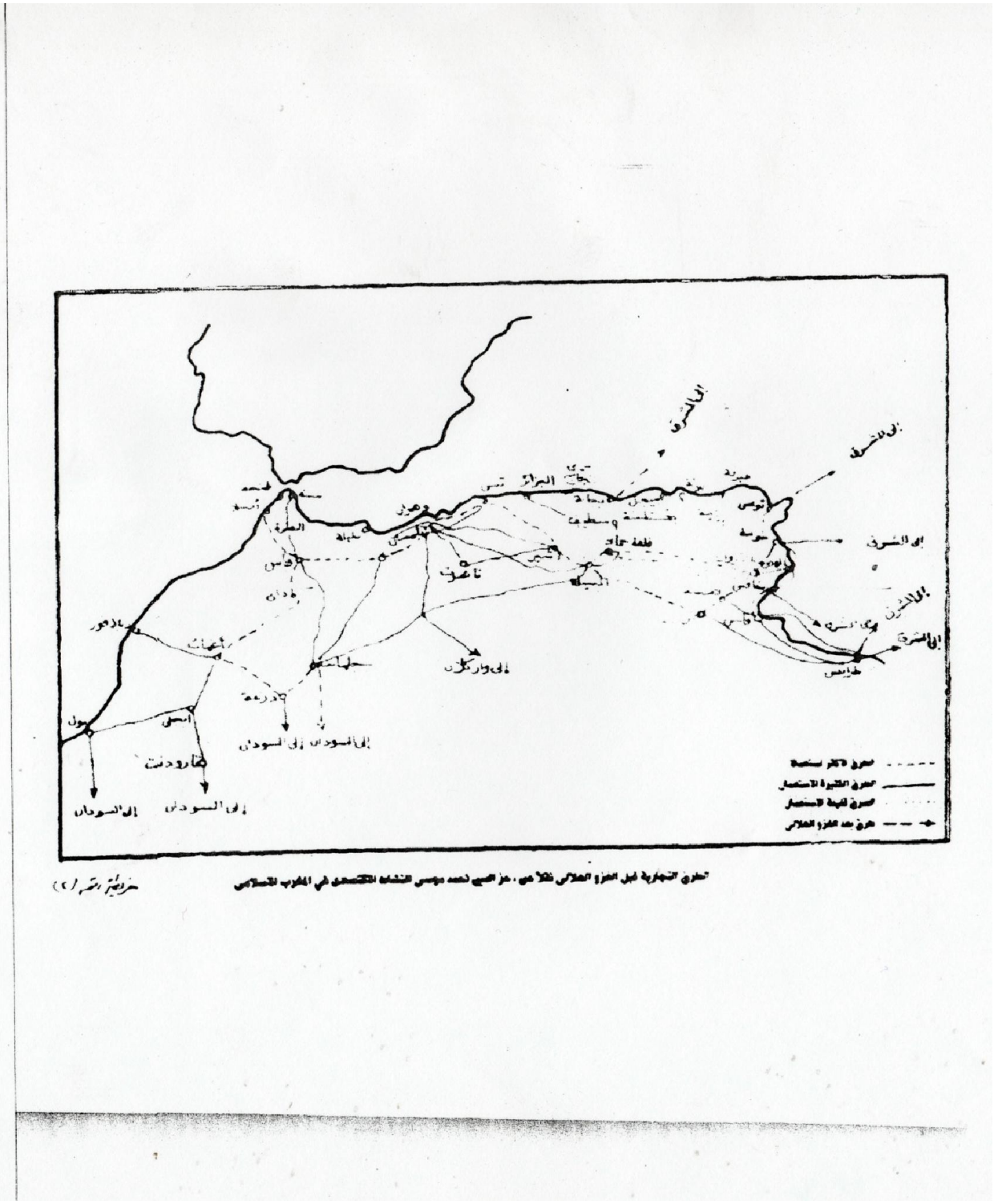

حسن خضري أحمد ،علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (326-567هـ/ 973-1171م)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت) ، ص 306

الملحق (06): أواني وأدوات منزلية حمادية.

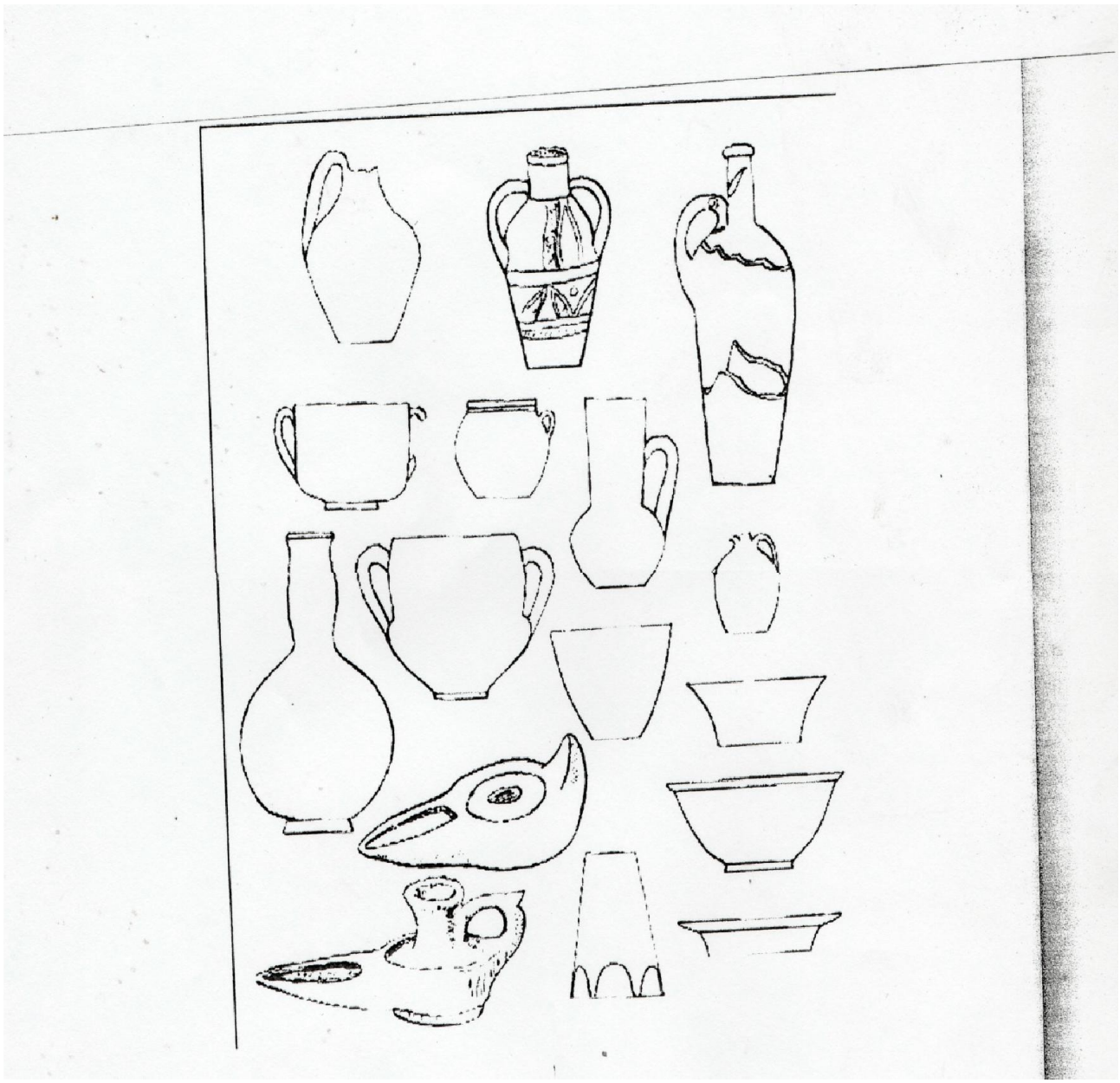

رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979م، ص 282

قائمة

البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا:

- القرآن الكريم.

أ- المصادر:

1- ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ** مج8، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

2- ابن الخطيب لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام**، تح وتع: مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، دار البيضاء، 1964.

3- ابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار العرب الإسلامي، بيروت، **(د.ت).**

4- ابن حوقل النصبي أبي القاسم، **صورة الأرض**، دار الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

5- ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، دار الكتب العلمية، لبنان، 2006.

6- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تر ومرا: ج. س كولان وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983.

7- أبي الفداء عماد الدين اسماعيل، **تقويم البلدان**، دار صادر بيروت، (د.ت).

8- الإدريسي الشريف، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تح: محمد حاج صادق، الجزائر، (د.ت).

9- البكري أبي عبد الله، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والمماليك**، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

10- الحموي أبي عبد الله ياقوت، **معجم البلدان**، مج1، دار صادر، لبنان، 1977.

11- الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: حسان عباس، مكتبة لبنان، 1975.

12- السمعاني أبو سعد التميمي، **كتاب الأنساب**، تر: عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي، ج1، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1962.

13- الصنهاجي أبي بكر بن علي، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

14- العبدري أبي عبد الله محمد ابن مسعود، **رحلة العبدري**، ط2، دار سعد الدين للطباعة، دمشق، 2005.

15- الغبريني أبو عباس أحمد بن أحمد، **عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

16- القلقشندي أبي العباس، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المطبعة الأميرية القاهرة، 1915.
17- المقدسي البشاري أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، **أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم**، دار صادر، بيروت، 1906.
18- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب**، تح: إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، (د.ت).
19- النويري شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترحيني، مج 24، دار الكتب العلمية لبنان.
20- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مطبع أبريل، 1988م.
21- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتع: سعد زغلول عبد الحميد، ط10، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958.

ب- قائمة المراجع:

1- أحمد حسن خضري، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (326-567هـ/ 973-1171م)**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت).
2- إدريس الهادي روجي، **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من (ق 10 إلى 12م)**، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
3- أرسلان شكيب، **تاريخ غزوات العرب**، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
4- رضوان البارودي، **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2007.
5- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
6- الزيدان عبد الله بن علي، **الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات**، ط1، مطبوعات مكتبة عبد العزيز العامة، 1996.
7- العبادي أحمد المختار،**مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس**(مجموعة من رسائله)،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،1983م.
8- السرجاني راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ج1، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011.
9- الطمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

10- (ــــــــــــ) **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

11- (ــــــــــــ) **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

12- العربي إسماعيل، **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

13- (ــــــــــــــ) ، **المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

14- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **موسوعة المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحدين (296-668هـ/910-1270م)**، ج2، ط1، مكتبة مدبولي، 1414هـ/1994م.

15- الكعاك عثمان، **موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري إلى غاية الاحتلال الفرنسي**، مكتبة العرب، تونس، (د.ت).

16- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

17- الميلي مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر العام في القديم والحديث**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت).

18- بدر أحمد، **تاريخ المغرب والأندلس**، المطبعة الجديدة، دمشق، 1980.

19- بن قربة صالح، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

20- (ــــــــ)، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.

21- (ــــــــــــ) **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986.

22- بوروبية رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1979.

23- بوسماحة عبد الحميد، **رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها (التاريخية والاجتماعية)**، ج1، دار السبيل، الجزائر، 2008.

24- بوعزيز يحيى، **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدي، الجزائر، 2004.

25- بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1986.

26- جمال الدين عبد الله، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية ق 4 مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

27- حاجيات (عبد الحميد) و لقبال (موسى) وآخرون، **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي، من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

28- حساني مختار، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

29- خالدي عبد الحميد، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، ط1، دار الهومة، الجزائر، 2007.

30- زغلول سعد عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي (الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)**، ج3، منشأة المعارف الاسكندرية، 1990.

31- سالم عبد العزيز، **تاريخ المغرب الكبير في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)**، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1981.

32- سالم (عبد العزيز) والعيادي (أحمد مختار)، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969.

33- شلبي أحمد، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963.

34- شهاب أحمد نحلة، **تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

35- عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط1، دار الشروق، الجزائر، 1980.

36- عبد الكريم غلاب، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، 2005

37- فركوس صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م-1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

38- فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

39- (_____) دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، الجزائر، 2012.

40- محمود حسن أحمد، **قيام دولة المرابطين**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957.

41- (_____)، الإسلام والثقافة العربية، ج2، دار النهضة المصرية، 1936.

42- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي زواوي ومحمد محفوظ، مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

43- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته**، ج1، ط1، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، لبنان، 1992.

44- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نوهيض الثقافية، بيروت، لبنان، 1980.

المراجع المترجمة:

1- لومبارد موريس، **الإسلام في مجده الأول (ق 02-05هـ/ 08-11م)**، ترجمة وتحقيق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

2- مارسيه جورج، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة ومراجعة: محمود عبد الصمد هيكل ومصطفى أبو الضيف، منشأة المعارف الاسكندرية، (د.ت).

المراجع باللغة الأجنبية:

1- G.L de Beylie**, la kalaa de beni Hammad une capital de Berbere de l'Afrique du nord au XI^{ème} siecle**, ernest leraux, paris, 1909.

2- E.F.Gautier**, le passé de l'Afrique du nord, les siecles obscurs**, pars, 1937.

3- M.L. De Mas latrie**, traites de paix et de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionle au moyen age**, Herari Plon, Imprimeur editeur 8 rue garancière, Paris, 1866, P : 21-22.

المقالات:

1- العربي إسماعيل، **"بجاية العاصمة الثانية لبني حماد"**، مجلة الثقافة، العدد 18، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1973.

2- (_____) **"العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد"**، مجلة الأصالة، العدد 19 و 20، مج 07، منشورات وزارة الشؤون الدينية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

3- مصطفاوي رشيد، **"بجاية في عهد الحماديين"**، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 01، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، محرم 1391هـ/ مارس 1971م.

4- (_____) **"الحركة الأدبية في بجاية بني حماد"**، مجلة الأصالة، العدد 19-20، مج 7، منشورات وزارة الشؤون الدينية، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

5- بوسعد الطيب، **"دور علماء طبنة في العصور الإسلامية الوسطى"**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 08، 2008.

6- قوسيم محمد، **"علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد، الملتقى الدولي حول قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس"**، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، أفريل 2007.

الرسائل الجامعية:

1- موسى هيصام، **الجيش في العهد الحمادي 405-547هـ/1014-1152م**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف موسى لقبال قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001.

2- عبدلي لخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 633-962هـ/1236-1554م**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2004-2005.

الوثائق الإلكترونية:

www.djelfa.info

www.alargam.com/maths/htm

www.tawalat.com

الفهـــــرس

مقدمة .....ب
مدخـــل 1
الفصل الأول: نشأة الدولة وتطورها السياسي ونظم حكمها. 7
المبحث الأول: نشأة الدولة وتطورها. 7
أولا: جهود حماد في تأسيس الدولة الحمادية.....7
ثانيا: الحدود الجغرافية للدولة الحمادية.....9
المبحث الثاني: نظام الحكم وأمراء الدولة الحمادية.....17
أولا: نظام الحكم في الدولة الحمادية ونظمه.....17
ثانيا: أمراء الدولة الحمادية 23
الفصل الثاني: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجال السياسي 35
المبحث الأول: العلاقات الخارجية الحمادية مع دول المغرب والمشرق الإسلامي.....35
أولا: علاقة الحماديين بالزيريين والزناتيين 35
ثانيا: علاقة الحماديين بالمرابطين والقبائل العربية 41
ثالثا: علاقة الحماديين بالفاطميين 46
المبحث الثاني: علاقات الدولة الحمادية بالأندلس والمماليك المسيحية.....48
أولا: علاقة الحماديين مع الأندلس (ملوك الطوائف).....48
ثانيا: علاقة الحماديين بالنورمان.....51
ثالثا: علاقة الحماديين بالجمهوريات البحرية الإيطالية.....53
الفصل الثالث: العلاقات الخارجية للدولة الحمادية في المجالين التجاري والعلمي 58
المبحث الأول: العلاقات التجارية الخارجية للدولة الحمادية 58
أولا: عوامل ازدهار التجارة الخارجية 58
ثانيا: الطرق التجارية 61
ثالثا: المبادلات التجارية.....65

رابعا: المسكوكات الحمادية 68
المبحث الثاني: أهمية العلاقات الخارجية في التنافس العلمي 70
أولا: عوامل رقي الحركة العلمية والفكرية 70
ثانيا: أهم رجالات العلم في الدولة الحمادية 72
ثالثا: الروابط الدينية مع المسيحيين وأثرها على العلاقات الخارجية.....75
خاتمة 79
الملاحق 82
قائمة البيبليوغرافيا 90